صدى الغائب

BY ABO 3AMER

ماذا لو كان كل سر
من ماضيك يُعيد كتابة مصيرك؟

وقف أمام المرآة انعكاسه يحدق فيه بعيون خاوية... كأنه يرى شخصًا غريبًا، الهواء من حوله ثقيل وكأنه يضغط على صدره ، مرر أصابعه على الندبة الخفيفة أسفل عينه، تذكارًا من زمن لم يعد يذكر تفاصيله. لم يكن يشعر بشيء، لا ألم ولا راحة، فقط فراغ ممتد، الطرقات على الباب كانت متواصلة، لكنه لم يتحرك. يعرف أن العالم بالخارج ينتظر ردوده، ابتساماته، كلماته... لكنه لم يعد يهتم.

أخيرًا، زفر بضيق واتجه إلى الباب، فتحه ببطء ليجد صديقه واقفًا أمامه، عابسًا كعادته.

— "أنت نايم لحد دلوقتي؟"

لم يرد، لم يتحرك فورًا، فقط طرفت عيناه للحظة كأنه نسي كيف يتفاعل، ثم استدار ببطء، وكأن جسده يرفض الاستجابة، وعاد إلى الداخل، تاركًا الباب مفتوحًا. دخل صديقه وأغلق الباب خلفه، ثم جلس على الأريكة بإحباط.

– "اسمع، الحياة مش هتقف عشانك، لازم تخرج من العزلة دي."

أشعل سيجارة، لم يكن مدخنًا، لكنه أحب فكرة التعود على شيء بلا معنى، مجرد حركة أخرى تملأ الفراغ. نظر إلى صديقه ببرود وقال:

– "وليه؟"

مر صمت ثقيل قبل أن يرد الآخر:

– "لأنك مش ميت."

لم يعلق. لم يكن متأكدًا إن كان صديقه محقًا. لأنه في داخله كان يشعر بأنه مات منذ زمن.لم يرد عليه فقط أدار وجهه إلى النافذة يتأمل الشارع الذي بدا كأنه يتحرك بسرعة بينما هو ثابت في مكانه.

السيارات تمر، الأضواء تتبدل، الناس يسيرون في اتجاهاتهم المختلفة... الحياة تستمر لكنها لم تعد تعنيه.تنهد صديقه بجانبه وكأنه اعتاد على هذا الصمت البارد.

– "أنا مش عارف إزاي بتعيش كده يا أخي."

لم يلتفت إليه فقط استمر في تأمل اللاشيء، ثم قال بصوت خافت:

– "أنا مش عايش."

صديقه زفر بضيق وهو يهز رأسه:

– "حازم... مش هتفضل كده طول عمرك، صح؟"

لم يرد، لم يكن لديه إجابة لهذا السؤال: لأنه بصراحة لم يكن متأكدًا.صديقه أراد أن يرد، أن يجادله، لكنه يعرف حازم ، ويعرف أن الجدال معه أشبه بمحاولة تحريك جدار بيديك العاريتين. لذا... فضل الصمت.

السيارة توقفت عند الإشارة الحمراء. أدار حازم رأسه قليلًا، عيناه مسلطة على شيء في الرصيف المقابل... أو شخص، بالأحرى.

فتاة...

لم يكن يعرفها، لكنه وجد نفسه يحدق فيها أكثر مما ينبغي. لم يكن السبب جمالها، رغم أنها كانت جميلة، ولم يكن بسبب شيء مألوف فيها... بل لأنها كانت تضحك.

ضحكة صافية، خفيفة، كأنها لم تُخلق في هذا العالم الموحش.شعر بشيء غريب، شيء لم يفهمه... أو ربما لم يرده.أدار وجهه بسرعة، وكأن مجرد النظر إليها قد يشعل شيئًا داخله حاول طمسه طويلًا.

الإشارة أصبحت خضراء، والسيارة تحركت لكن صورتها بقيت في عقله رغمًا عنه.

عاد كل شيء كما كان. الصمت، اللامبالاة، الفراغ المعتاد في صدره.

– "ماتردش عليا كأنك مش سامع، أنا بتكلم بجد."

زفر حازم بضيق دون أن ينظر إليه:

– "وأنا مالي لو بتتكلم بجد؟"

ضحك صديقه بسخرية:

– "يا راجل ده حتى الكلام معاك محتاج صبر مش هسألك تاني، لكن في يوم هتعرف إنك مش ميت ولا حاجة... أنت بس اللي قاتل نفسك بنفسك."

لم يرد، فقط حدق في الطريق أمامه منتظرًا أن يصل إلى وجهته أو ربما.... لا ينتظر أي شيء على الإطلاق.

كانت عقارب الساعة تشير إلى الثانية صباحًا، لكنه لم يكن يشعر بالتعب.جلس في غرفته، ضوء خافت ينبعث من شاشة هاتفه، لكنه لم يكن ينظر إليه حقًا. أفكاره مشوشة، لكنها لم تكن أفكارًا بالمعنى الحقيقي... بل مجرد ذكريات متراكمة، أصوات قديمة تطرق رأسه دون إذن.

لم يكن دومًا هكذا.

(فلاش باك – قبل خمس سنوات – 2020)

ضحكة صاخبة ملأت المكان، لم تكن ضحكته، لكنها كانت قريبة منه. كان يجلس وسط مجموعة من الشباب، صوته يشارك في الأحاديث، عيناه مليئتان بالحياة. كان مختلفًا ، كان إنسانًا عاديًا .... ربما حتى سعيدًا.

– "حازم خفّ شوية الدنيا مش مستاهلة!"

قالها عمر وهو يضربه على كتفه،

فضحك حازم ورد بخفة:

– "يا عم سيبني إحنا لسه صغيرين."

لكنه لم يكن يعرف حينها... أن الحياة لن تتركه "صغيرًا" للأبد.

(عودة إلى الحاضر – 2025)

تلاشت الذكرى كما جاءت تاركة وراءها فراغًا أعمق. نهض من مكانه، التقط سترته وخرج إلى الشارع. في الخارج كان الليل ساكنًا إلا من صوت خطواته المنتظمة على الرصيف. لم يكن في عجلة من أمره، ولم يكن لديه وجهة يرغب في الوصول إليها، لكنه استمر في السير رغم ذلك.

بعد دقائق توقف أمام مبنى متوسط الحجم، واجهته باهتة، وأضواؤه الخافتة توحي بأنه بالكاد ينبض بالحياة. زفر بهدوء ثم سحب مفتاحًا من جيبه فتح الباب ودخل.

لم يكن المكان مزدحمًا فقد غادر معظم الموظفين منذ ساعات.

اتجه مباشرة إلى مكتبه، ألقى سترته على الكرسي، وجلس أمام شاشة الكمبيوتر.

حازم يعمل في شركة صغيرة ليست ناجحة بما يكفي لتكون معروفة، لكنها ليست فاشلة تمامًا. راتبه بالكاد يكفيه حتى نهاية الشهر، لكنه لم يكن يهتم كثيرًا فهو لا يملك الكثير من الالتزامات، أو ربما لم يعد يهتم بأن يكون لديه شيء يهتم به.ضغط بعض الأزرار دون تركيز عيناه تتحركان فوق الأرقام والمستندات لكن عقله كان في مكان آخر تمامًا.

— "لسه هنا حازم؟"

رفع رأسه قليلًا كان أحد زملائه يلتقط حقيبته استعدادًا للمغادرة.

"آه خلصت شغلك؟"

— "بالكاد... وأنت؟"

نظر إلى الشاشة للحظة ثم قال بلا مبالاة:

"لسه."

— "طيب متتأخرش."

لم يرد فقط تابع النظر إلى الشاشة بينما انطفأت أنوار القسم الآخر من المكتب مع مغادرة آخر موظف.

بقي وحده كعادته.

لكن الهدوء لم يدم طويلًا ، فُتح باب المكتب فجأة ودخل أحد المديرين بخطوات سريعة ونظرة صارمة خلفه وقف اثنان من الموظفين يتهامسان فيما بينهما.

— "حازم ممكن دقيقة معاك؟"

نظر إليه حازم بلا تعبير، ثم أغلق شاشة الكمبيوتر ببطء.

— "خير؟"

المدير لم يجلس بل وقف أمامه مباشرة نبرته متوترة لكنها حازمة:

— "في مشكلة ولازم نتكلم بخصوصها حالًا."

رفع حازم حاجبه لكن داخله كان هادئًا كالعادة.

— "مشكلة إيه؟"

ألقى المدير ملفًا أمامه، فتحه حازم ببطء وعيناه ركزتا على الأوراق داخله.

– "في نقص في الحسابات ومراجعة السجلات بتقول إنك كنت آخر واحد اشتغل على الملفات دي."

رفع نظره إلى المدير نبرته بقيت باردة:

– "وأنا؟"

– "وأنت المسؤول عن المعاملات دي."

– "بمعنى؟"

تنهد المدير متوترًا:

– "بمعنى إنه لو طلع الموضوع اختلاس أنت أول واحد هيتحاسب."

تجمد عقله لثوانٍ لكن حازم لم يُظهر أي انفعال فقط أغلق الملف وأسند ظهره إلى الكرسي.

– "يعني بتقول إني سرقت؟"

– "أنا بقول إن الأرقام مش مطابقة ولازم نعرف السبب."

سحب حازم نفسًا عميقًا، ثم قال بهدوء:

– "تحب أبدأ في التحقيق بنفسي؟ ولا عندكم حد جاهز يحط التهمة عليّ مباشرة؟"

المدير لم يجب فورًا لكنه نظر إلى حازم نظرة مختلطة بين الشك والقلق قبل أن يقول:

– "هتتم مراجعة كل حاجة وأتمنى إنك متخبيش أي حاجة عشان ده ممكن يوصلك لموقف مش كويس."

ظل حازم ينظر إلى المدير بلا تعبير قبل أن ينهض ببطء مدّ يده للملف وأعاد إغلاقه بحركة هادئة.

– "براحتكم."

قالها بصوت هادئ لكن في داخله كان يدرك أن هذه ليست مجرد مشكلة عابرة، نظرات الموظفين حوله لم تكن نظرات استفسار بل كان فيها شيء آخر... شيء يشبه الاتهام المسبق.

غادر المدير بعد لحظات تاركًا وراءه جوًا ثقيلًا. نظر حازم حوله لاحظ كيف تجنّب البعض التواصل البصري معه، كيف كان الهمس يزداد كلما مرّ بجانب أحدهم.

جلس مجددًا حدّق في الشاشة لكنه لم يعد قادرًا على التركيز، كان يعلم أن هذه المشكلة لن تُحل بسهولة وأنه لو ترك الأمور تسير كما هي فسيجد نفسه في مأزق أكبر مما يتوقع.

مرّت الأيام التالية ببطء والاجتماعات المتكررة لم تكن في صالحه. كل الأدلة الظاهرة كانت تشير إليه رغم أنه كان واثقًا من براءته.

لم يكن هناك دليل مباشر لكن طريقة التعامل معه تغيّرت، أصبح كالغريب بين زملائه، حتى الذين لم يكونوا مهتمين بالأمر بدأوا يتعاملون معه بحذر.

في إحدى الليالي وبينما كان يجلس في مكتبه محاولًا إعادة مراجعة البيانات بنفسه سمع همسات عند الباب لم يتحرك فقط استمع.

– "أنا متأكد إن هو مين غيره كان يقدر يعمل كده؟"

– "بس لو كان مذنب فعلًا ليه لسه قاعد هنا؟ ليه مش اختفى؟"

– "يمكن عشان عارف إنهم مش هيقدروا يثبتوا حاجة."

– "على العموم لو ثبتت عليه مش هيلحق حتى يلاقي شغل في أي مكان تاني."

أحس بشيء ثقيل في صدره لكنه لم يظهر ذلك، كان هذا مألوفًا نظرات الاتهام، الأحكام المسبقة... كلها أمور واجهها بأشكال مختلفة في حياته.

أحس بشيء ثقيل في صدره لكنه لم يظهر ذلك، كان هذا مألوفًا نظرات الاتهام، الأحكام المسبقة... كلها أمور واجهها بأشكال مختلفة في حياته.

أغلق الحاسوب وقف وسار نحو الباب فجأة مما جعل الشخصين يقفزان في مكانهما.

— "مش متعودين تتكلموا عن حد في وشه؟"

لم ينتظر ردّه ما فقط خرج دون أن ينظر خلفه.

(9 فبراير– 2025)

كان الليل ثقيلًا تمامًا كالأيام السابقة. عاد إلى شقته متأخرًا كما يفعل دائمًا، لم يكن هناك ما يستدعي العودة مبكرًا ولم يكن هناك من ينتظره.

ألقى سترته على الأريكة، توجه مباشرة إلى المطبخ، فتح الثلاجة ثم أغلقها دون أن يأخذ شيئًا، لم يكن جائعًا... ولم يكن يشعر بأي شيء على الإطلاق.

جلس أمام الكمبيوتر فتح بريده الإلكتروني كعادته لا لسبب معين بل بدافع العادة فقط، عشرات الرسائل التافهة، إعلانات، إشعارات بلا قيمة... لكنه توقف عند واحدة لم يتوقعها.

إلى: حازم أيمن سليمان

الموضوع: إلى متى ستظل تهرب؟"

قطب حاجبيه، فتح الرسالة فورًا.

"حازم ربما تظن أنك دفنت الماضي لكن بعض الأشياء لا تموت مهما حاولت، هناك أمور يجب أن تواجهها وإلا ستُدفن معها.

إن كنت تظن أن ما يحدث في عملك مجرد مصادفة فأنت مخطئ، لا شيء يحدث بلا سبب، وأنت تعرف ذلك جيدًا.

لا تبحث عني لكنك تعرف إلى أين تذهب. السؤال هو: هل لديك الشجاعة للعودة؟"

لم يكن هناك اسم مرسل، ولا توقيع، ولا أي شيء يدل على هوية كاتبها، فقط كلمات جافة، مباشرة، مزعجة.

شعر بانقباض غريب في صدره، إحساس ثقيل لم يشعر به منذ سنوات، عيناه بقيتا معلقتين على الجملة الأخيرة:

"هل لديك الشجاعة للعودة؟"

قبض على الفأرة بقوة، أغلق البريد، ونهض بعصبية.
سار في الغرفة ذهابًا وإيابًا لكنه لم يستطع إبعاد الكلمات عن رأسه.

"إن كنت تظن أن ما يحدث في عملك مجرد مصادفة فأنت مخطئ."

هل كان هناك رابط؟ هل هذه الرسالة تتعلق باتهامه في العمل؟ أم أنها... شيء آخر؟

وقف أمام النافذة، حدّق في المدينة الصامتة تحته.
كان كل شيء هادئًا أكثر مما ينبغي.

لكن داخله كان العكس تمامًا.

للمرة الأولى منذ سنوات وجد نفسه يتساءل...
هل حان وقت العودة؟

منتصف الليل:

لم يستطع التوقف عن التحديق في الشاشة، قلبه الذي اعتاد السكون، تسارع إيقاعه للحظات. قبض على الفأرة بعنف، أعاد فتح البريد، أعاد قراءة الرسالة مرارًا وكأن شيئًا قد فاته.

لا شيء، لا اسم، لا تلميح، لا إجابة واضحة.

بسرعة بدأ يكتب ردًا:

"من أنت؟ وماذا تريد؟"

ضغط على "إرسال" وانتظر... لكن لم يكن هناك أي رد.

بعد لحظات قرر تجربة شيء آخر، قام بنسخ البريد الإلكتروني للمرسل وبحث عنه في أي قاعدة بيانات أو موقع لكنه لم يجد شيئًا.

"عنوان مجهول..." تمتم بينه وبين نفسه.

زفر بضيق وألقى بجسده على الكرسي، حدق في السقف للحظات ثم نهض فجأة التقط سترته وفتح الباب بسرعة... لكنه توقف.

إلى أين؟

شعر بتيار بارد يجتاح جسده، ربما كانت الرسالة مجرد مزحة لكنه لم يصدق ذلك.

شيء ما تحرك داخله، إحساس مدفون منذ زمن طويل، شيء لم يكن مستعدًا له.

قبض يده بقوة ثم دفع الباب بعنف وأغلقه خلفه.

(اليوم التالي – 10 فبراير 2025):

استيقظ بعد نوم متقطع، رأسه مثقل وكأن الليلة الماضية تركت أثرًا أعمق مما توقع.

ارتدى ملابسه ببطء، خرج من الشقة متجهًا إلى العمل لكنه لم يستطع التوقف عن التفكير في الرسالة.

وصل إلى الشركة، دخل دون أن يعير نظرات زملائه أي اهتمام. كان عقله في مكان آخر.

جلس إلى مكتبه، فتح البريد الإلكتروني فورًا لا شيء جديد.

لكن المشكلة لم تكن هنا.

المشكلة كانت في إحساسه...

أن هذه ليست سوى البداية.

لم يكن يومه في العمل مختلفًا عن الأيام السابقة سوى أن شيئًا ثقيلًا ظل جاثمًا على صدره منذ استيقظ، رسالة البريد الإلكتروني لم تفارق عقله، لكنه لم يكن يعرف كيف يتعامل معها. هل يتجاهلها؟ هل يبحث عن مرسلها؟ أم أنها مجرد محاولة للعبث بأعصابه؟

كان جالسًا أمام مكتبه يحدق في الشاشة دون تركيز عندما اقترب أحد زملائه.

— "حازم، المدير يريدك في مكتبه حالًا."

رفع رأسه ببطء ثم زفر بضيق ونهض. لا شيء يبشر بالخير.

دخل المكتب بخطوات ثقيلة ليجد المدير جالسًا خلف مكتبه عاقدًا ذراعيه بينما يقف بجانبه أحد الموظفين يرمقه بنظرة غريبة.

— "اجلس حازم."

جلس دون أن ينطق بكلمة.

— "هل لديك فكرة عن سبب استدعائك؟"

نظر إلى الرجل الآخر ثم أعاد نظره إلى المدير.

— "لا ما الأمر؟"

— "هناك تقرير وصلني يفيد بأنك تلاعبت ببعض البيانات في المشروع الأخير. هل لديك تفسير لذلك؟"

اتسعت عينا حازم للحظة قبل أن يقول ببرود:

— "هذا غير صحيح."

— "إذن كيف تفسر وجود هذه التعديلات من حسابك؟"

ألقى المدير أمامه مجموعة من الأوراق تحتوي على تفاصيل التعديلات التي زُعم أنه قام بها.

تأملها حازم قليلًا قبل أن يقول بحزم:

— "لم أفعل ذلك."

— "لكن كل الأدلة تشير إليك حازم."

— "إذًا هناك شخص استخدم حسابي أو تلاعب به."

نظر المدير إليه بصمت ثم قال:

— "سنفتح تحقيقًا في الأمر، لكن حتى ذلك الحين سيتم إيقافك عن العمل مؤقتًا."

شعر حازم بشيء ينهار بداخله، لم يكن يتوقع أن تصل الأمور إلى هذا الحد.

وقف بهدوء والتقط الأوراق ثم قال بصوت خالٍ من أي انفعال:

— "افعلوا ما تريدون."

خرج من المكتب بخطوات بطيئة، كان يعلم أن شيئًا ما يحدث لكن لم يكن يعرف من وراءه ، ولماذا الآن؟

وقف في الممر وأخرج هاتفه ثم فتح بريده الإلكتروني مرة أخرى وعيناه مثبتتان على الرسالة المجهولة.

"إن كنت تظن أن ما يحدث في عملك مجرد مصادفة فأنت مخطئ."

أغلق الهاتف بقوة. لم يعد هناك مجال للشك.

هناك شخص ما... يعبث بحياته.

(15 فبراير– 2025)

كان الهواء باردًا في صباح ذلك اليوم رغم أشعة الشمس التي حاولت أن تخترق الغيوم الرمادية المتناثرة في السماء. سار حازم في أحد الشوارع الجانبية لقرية ههيا دون هدف واضح وكأن قدميه تتحركان وحدهما.

لم يأتي إلى هنا منذ سنوات ومع ذلك لم يشعر بأي حنين، المكان لم يتغير كثيرًا لكنه لم يعد يعني له شيئًا، لم يعد هناك أحد ينتظره ولم يعد هو نفسه الفتى الذي غادر.

توقف قليلًا عند أحد الأزقة، نظر حوله للحظات ثم زفر ببطء. مر أسبوع تقريبًا على يوم ميلاده التاسع من فبراير ولم يفكر فيه سوى للحظات عابرة. لم يكن هناك من يتذكره ولا من يعنيه الأمر. بلغ الثانية والعشرين لكن ماذا بعد؟ العمر لم يكن سوى رقم، والسنوات لم تضف إليه شيئًا سوى المزيد من الفراغ.

رفع عينيه إلى السماء الرمادية فشعر بثقل مألوف يجثم على صدره.

تذكر والده الذي لم يحظَ بفرصة لرؤيته، والذي رحل في حادث أثناء سعيه لتأمين مستقبله. وتذكر والدته التي قاومت فيروس كورونا لأشهر، ثم استسلمت له في عام 2020، تاركة وراءها صبيًا لم يكن مستعدًا لمواجهة العالم وحده.

تلاشت الذكرى كما جاءت، تاركة وراءها فراغًا أعمق... ثم وفي تلك اللحظة، التقت عيناه بعينين مألوفتين.

لكن عقله لم يتعرف عليهما بعد.

ظل حازم واقفًا للحظة محدقًا في الرجل الذي مر بجانبه. لم يكن يعرف سبب ذلك الشعور الغريب الذي تسلل إلى صدره، وكأن هناك شيئًا مألوفًا في ملامحه، لكنه لم يستطع الإمساك به.

الرجل كان يسير بخطوات ثابتة، ملامحه غامضة، نظراته عابرة كأنما لا تهتم بشيء في هذا العالم. بدا وكأنه لا يلاحظه... أو ربما لم يرد ذلك.

حازم زفر ببطء وهز رأسه مبعدًا عنه هذا الإحساس الغريب. ربما هو مجرد أحد أبناء القرية الذين لم يلتقِ بهم من قبل، أو ربما ذاكرته تخدعه كما اعتادت أن تفعل.

أكمل طريقه دون أن يدرك أن هذه اللحظة العابرة لن تبقى عابرة للأبد. تابع حازم سيره في شوارع القرية محاولًا تجاهل الشعور الغريب الذي تسلل إليه للحظة. مرَّ بجوار بعض المحلات الصغيرة التي لم تتغير منذ صغره، واستمر في السير حتى وصل إلى طريق ترابي ممتد، يحيطه صفٌّ من الأشجار العتيقة.

القرية لم تكن غريبة عنه لكنه لم يعد يشعر بأنها تخصه. كان المكان صامتًا فقط أصوات خفيفة للأطفال في البعد، وصوت خطواته التي تتردد مع كل حركة.

وقف للحظة عند جسر صغير يمر فوق ترعة ضيقة، نظر إلى المياه الراكدة ورأى انعكاسه عليها. لم يعرف لماذا جاء إلى هنا لكنه شعر بأنه بحاجة إلى العودة ولو قليلًا إلى الماضي، رغم أنه كان يفعل كل ما بوسعه لنسيانه.

أغمض عينيه لثوانٍ لكنه سرعان ما فتحهما عندما مرَّ ذلك الرجل مرة أخرى على الجانب الآخر من الجسر، كان يسير بنفس الخطوات الواثقة، وبنفس الملامح الغامضة.

هذه المرة التفتت نظراته نحوه للحظة، ثم أكمل طريقه دون توقف.

شعر حازم بشيء غريب في داخله. وكأن هذه ليست مجرد صدفة...

تابع حازم نظراته نحو الرجل محاولًا أن يلتقط أي خيط يفسر هذا الشعور المزعج. لم يكن يعرفه... أو هذا ما كان يجب أن يكون عليه الأمر. لكنه شعر وكأن شيئًا في وجهه يحاول أن يطفو على سطح ذاكرته دون أن يستطيع الإمساك به.

لم يفكر كثيرًا. هز رأسه ونفض عن نفسه تلك الأفكار، ثم أكمل طريقه مبتعدًا عن الجسر. لم يكن لديه وقت ليضيع في مطاردة ظلال الماضي.

"لكنه لم يكن يعلم أن الماضي لم يكن بحاجة لأن يُطارد... فقد كان يقترب منه بالفعل."

واصل حازم طريقه متجاهلًا ذلك الشعور الغريب الذي بدأ يتسلل إلى صدره، كان يعرف هذه القرية جيدًا، فقد وُلِد هنا، لكنه لم يعد يشعر بأنها تخصه. كل شيء فيها بدا مألوفًا لكنه غريب في آنٍ واحد كما لو أن ذكرياته نفسها ترفض الاعتراف بأنها نشأت بين هذه الشوارع.

الهواء كان مشبعًا برائحة الأرض الرطبة، وضوء الشمس الخافت يتسلل بين الأشجار، مرسومًا على التراب كبقع ذهبية متفرقة. لم يكن يدري لماذا جاء إلى هنا اليوم، ربما كانت مجرد رغبة لا واعية في الهروب من ضغط العمل والاتهام الذي يطارده أو ربما... كان هناك سبب آخر لم يدركه بعد.

بينما كان يسير لمح مقهى قديمًا عند زاوية الطريق، لم يكن مزدحمًا فقط بعض الرجال يجلسون على الطاولات الخشبية يتبادلون الأحاديث ببطء وكأن الزمن هنا يتحرك على وتيرة مختلفة عن المدينة.

قرر أن يجلس للحظة، طلب كوبًا من الشاي، ثم أسند ظهره إلى الكرسي وأغمض عينيه.

— "لسه فاكر المكان ده؟"

فتح عينيه فورًا كانت نبرة الصوت مألوفة لكنها جاءت من ماضٍ بعيد.

التفت ببطء ليجد رجلاً يجلس على الطاولة المجاورة يحدق فيه بابتسامة صغيرة لا تخلو من الغموض.

كان وجهه مألوفًا لكن عقله رفض أن يتعرف عليه.

حازم لم يرد فقط استمر في التحديق محاولًا استرجاع صورة هذا الوجه في ذاكرته.

– "واضح إنك نسيتي خلاص..." قالها الرجل بنبرة هادئة ثم ارتشف من كوب الشاي الذي أمامه.

حازم شعر بأن قلبه انقبض للحظة لكنه لم يُظهر ذلك.

لم يكن يحب الشعور بأن هناك جزءًا من ماضيه يطارده خاصة إن كان هذا الجزء يحمل إجابات لا يريد سماعها.

– "ممكن... بس مين إنت؟" سأل أخيرًا محاولًا أن يبدو هادئًا.

الرجل ابتسم ووضع كوبه على الطاولة ثم نظر إليه مباشرة وقال:

– "أنا الشخص اللي بعث لك الرسالة."

تجمد حازم في مكانه وشعر وكأن الهواء من حوله أصبح أثقل. لم يطرف له جفن وهو يحدق في الرجل أمامه محاولًا أن يستوعب كلماته.

– "إنت اللي بعت الرسالة؟!" قالها بصوت منخفض لكنه حاد.

الرجل لم يرد فورًا فقط ابتسم ابتسامة صغيرة وكأنه كان يتوقع هذه الصدمة، ثم أخرج من جيب سترته ورقة مطوية ووضعها على الطاولة أمام حازم.

– "كنت متأكد إنك هتيجي تدور حتى لو كنت بتقول لنفسك غير كده."

حازم لم يمد يده إلى الورقة، شعر أن كل شيء حوله أصبح بلا صوت، كأن القرية بأكملها تجمدت في هذه اللحظة. لم يكن يعرف لماذا لكن قلبه بدأ ينبض بقوة كما لو أن حدسه يصرخ فيه بأن هذه الورقة قد تحمل شيئًا سيغير كل شيء.

تنفس بعمق ثم التقطها ببطء، فكّ طيّاتها بأصابعه المتوترة وبدأ يقرأ.

"حازم مهما حاولت تهرب ماضيك عمره ما هيسيبك. في حاجات لازم تعرفها، حاجات تخصك أكتر مما تتخيل.

تعالَ للمكان اللي بدأت فيه الحكاية هناك هتلاقي الحقيقة اللي عمرك ما فكرت تواجهها."

عيناه تحركتا سريعًا بين السطور ثم رفع نظره إلى الرجل وعينيه تضيقان بحدة.

– "إنت مين؟ وإيه الحكاية اللي بتتكلم عنها؟"

الرجل لم يجب فقط وقف بهدوء ثم نظر إلى حازم نظرة أخيرة، ثم قال بصوت منخفض:

– "هتعرف لما توصل."

ثم استدار ومشى بعيدًا تاركًا حازم وحده مع الرسالة، ومع الأسئلة التي بدأت تشتعل في رأسه.

ظل حازم يحدق في الورقة بين يديه، عقله يعمل بسرعة يحاول الربط بين الكلمات وبين حياته لكنه لم يجد شيئًا واضحًا. المكان الذي بدأت فيه الحكاية؟ أي حكاية؟ وأي ماضٍ هذا الذي يطارده؟ كان كل شيء يشير إلى أنه يجب أن يبحث، أن يسير خلف هذا اللغز، أن يواجه الماضي الذي يطارده... لكنه لم يفعل.

بدلًا من ذلك مزق الورقة إلى نصفين، ثم إلى أرباع، وأسقطها على الطاولة أمامه.

نهض من مقعده وألقى بعض النقود على الطاولة، ثم مشى خارج المقهى دون أن يلتفت خلفه. لم يكن في مزاج يسمح له بالخوض في هذه الألغاز، ولا يريد أن ينجرَّ خلف أوهام قديمة. كان لديه ما يكفي من المشاكل بالفعل.

مرَّ بجانب بعض المارة لم يكن يرى وجوههم بوضوح وكأن ذهنه يحاول أن يفرغ نفسه من كل شيء. لكن رغم ذلك كان هناك شعور مزعج في داخله... شعور بأنه ارتكب خطأً ما.

لكنه تجاهله كما فعل دائمًا.

عاد إلى مكان إقامته، ألقى بجسده على الفراش وأجبر نفسه على النوم.

في اليوم التالي استيقظ على صوت طرقات قوية على بابه. فتح عينيه ببطء ونظر إلى الساعة لم يكن الوقت مبكرًا لكنه لم يكن يتوقع أحدًا.

نهض بتثاقل، فتح الباب... وتجمَّد مكانه.

كان الرجل نفسه واقفًا هناك ينظر إليه بنفس النظرة الهادئة.

– "كان لازم أمشي الأول أشوف هتعمل إيه بس كنت متأكد إنك مش هتيجي لوحدك."

حازم شعر بانقباض في صدره. قبل أن يتمكن من قول أي شيء أخرج الرجل ورقة أخرى من جيب سترته ومدّها إليه بابتسامة باردة.

– "ممكن تكون مزقت الأولى بس دي مش هتقدر تتجاهلها."

حازم تردد لكن حين وقعت عيناه على الورقة شعر بأن أنفاسه انحبست في صدره.

كانت هناك صورة قديمة مثبتة بها، صورة لم يرها منذ أكثر من عشرة أعوام.

صورة جعلت عقله يتوقف تمامًا.

عينا حازم تجمدتا على الصورة، نبضه تسارع بطريقة لم يشعر بها منذ سنوات. كانت صورة قديمة باهتة الأطراف، لكنها حملت معها كل الذكريات التي حاول دفنها. كانت هناك وجوه مألوفة، ووجه واحد تحديدًا جعله يشعر بقشعريرة تتسلل إلى عموده الفقري.

رفع نظره إلى الرجل الذي ظل محافظًا على هدوئه الغامض.

– "دلوقتي بقى... هتسمعني؟"

لم يرد حازم. لم يكن بحاجة إلى الرد.

في تلك اللحظة كان يعلم أن حياته لن تعود كما كانت أبدًا.

بداية النهاية... أو بداية شيء لم يكن مستعدًا له.

وقف حازم متجمدًا، عينيه لا تفارقان الصورة، لكن قبل أن ينطق بأي كلمة...

فُتح الباب بعنف واندفع شخص ثالث إلى الداخل، أنفاسه متسارعة وعيناه مليئتان بالتوتر.

– "أخيرًا لقيتك!"

ارتفع حاجباه في دهشة بينما تبادل الرجل الغامض وحازم النظرات في صمت. من هذا؟ وكيف عرف مكانه؟

الشخص الجديد لم ينتظر ردًا بل تقدم خطوة أخرى وهو يحدق في حازم بحدة ثم قال بصوت منخفض لكنه مليء بالتوتر:

– "مافيش وقت للأسئلة لازم نخرج من هنا حالًا حياتك في خطر!"

قبل أن يتمكن حازم من استيعاب الأمر أو حتى الرد

انفتح الباب خلف الرجل الغامض فجأة بانفجار عنيف!

اندفع حازم للخلف بينما سقط الرجل الذي أعطاه الورقة على الأرض، أنفاسه متقطعة ودماء ساخنة تلطخ صدره. عيناه اتسعتا للحظة، كأنه يحاول قول شيء، لكن صوته خرج متحشرجًا.

– "لا... لا تدعهم يأخذوا..."

ثم انطفأت عيناه إلى الأبد.

حازم لم يتحرك، عيناه كانت لا تزالا عالقتين في وجه الرجل الميت بينما عقله يحاول فهم ما حدث.

من قتله؟ ولماذا؟

أمسك الشخص الثالث ذراعه بقوة، صوته كان متوترًا لكنه صارم:

– "مافيش وقت لازم نخرج فورًا وإلا هتكون التالي."

أصوات خطوات تقترب بسرعة، ظلال تتحرك خلف الدخان المتصاعد من الباب المحطم.

كان هناك أشخاص يبحثون عنهم أو بالأحرى...

يبحثون عن حازم.

لكن السؤال الحقيقي... لماذا؟

قبل أن يتمكن حازم من التحرك شعر بشيء بارد يخترق كتفه. لم يكن ألمًا في البداية بل مجرد صدمة جعلت جسده يتوقف عن الاستجابة. ثم كأن الزمن تباطأ، رأى الدم يتسرب من قميصه والظلام بدأ يزحف إلى أطراف رؤيته.

— "تبًا!" صاح الرجل الذي معه وأمسكه قبل أن يسقط تمامًا على الأرض.

حازم حاول التركيز ،حاول فهم ما يحدث، لكنه لم يستطع. الأصوات من حوله بدأت تتلاشى وصوت الرجل أصبح بعيدًا... بعيدًا جدًا.

ثم... ظلام.

—

عندما فتح عينيه كان السقف فوقه خشبيًا متآكل الحواف، وأشعة الشمس الخافتة تتسلل عبر نافذة صغيرة. حاول التحرك لكن كتفه كان يؤلمه بشدة، ولفافة قماشية ملوثة بالدم تغطي الجرح.

– "أخيرًا فوقت."

التفت إلى مصدر الصوت ليجد الرجل الذي أنقذه يجلس على كرسي مهترئ يراقبه بنظرة حادة.

– "أين نحن؟" سأل حازم بصوت متحشرج.

– "في مكان آمن... مؤقتًا."

ثم انحنى للأمام، صوته أصبح أكثر جدية:

– "قبل ما تسأل أي سؤال لازم تعرف... اللي حصل مش صدفة، واللي قتلوه كانوا عايزين يمنعوك من معرفة الحقيقة."

حازم ضيق عينيه، شعور بالريبة بدأ يتسلل إلى صدره.

– "أي حقيقة؟"

الرجل تنهد ثم أخرج شيئًا من جيبه ورماه أمامه.

كانت ورقة... لكن ليست الورقة التي أعطاها له الرجل المقتول.

كانت مختلفة وكان عليها اسمه.

لكن الأمر الأكثر رعبًا هو ما كان مكتوبًا أسفل اسمه.

حازم مد يده المرتجفة والتقط الورقة، عيناه متسعتان بينما يقرأ الكلمات المكتوبة بخط شديد الدقة.

"حازم أيمن سليمان... أنت لا تملك الحق في البحث. توقف الآن وإلا ستنتهي كما انتهى الآخرون."

كان هناك توقيع في الأسفل لكنه لم يكن اسمًا واضحًا، مجرد رمز غريب... أشبه بحرفين متداخلين بطريقة غير مألوفة.

حازم رفع نظره إلى الرجل الجالس أمامه، وجهه كان خاليًا من التعبير.

— "مين اللي كتب ده؟"

الرجل لم يرد فورًا بل سحب نفسًا عميقًا ثم قال:

— "مش السؤال الصح."

حازم عبس، الألم في كتفه بدأ يخفت مقارنة بالاضطراب الذي يشعر به داخله.

— "طيب... إيه هو السؤال الصح؟"

الرجل ابتسم ابتسامة باردة ثم قال:

— "إنت فعلاً عايز تعرف؟ لأنك لو عرفت مفيش رجوع."

حازم شعر بقلبه يدق بقوة لكن رغم كل شيء، رغم الخوف، رغم الارتباك، لم يكن هناك مجال للتراجع.

– "قولي."

الرجل حدق فيه للحظات ثم انحنى للأمام وقال بصوت خافت كأنه يخشى أن يسمعه أحد غيرهما:

– "السؤال الصح هو... إنت فعلًا حازم أيمن سليمان؟"

العالم كما يعرفه حازم... بدأ يتصدع.

حازم فكر للحظة، عينيه ضاقت والصداع بدأ يعتصر رأسه أكثر من قبل. لم يكن مستعدًا لاستقبال هذا النوع من الأسئلة.

– "لا، لا... مش ممكن. أنا حازم أيمن سليمان. مفيش حاجة مش واضحة."

الرجل أمامه ظل صامتًا لبرهة كأن كلماته كانت محطمة تمامًا لجدار يقف أمامه. ثم تنهد بعمق وقال:

– "اللي بيقوله الواقع مش دايمًا هو الحقيقة حازم."

حازم شعر بأن الأرض تتحرك من تحت قدميه، فكر في حياته التي عاشها، في اللحظات التي مر بها، وأعاد حساباته حول كل ما كان يظنه واضحًا.

– "إنت بتقول إيه؟" قالها حازم بلهجة حادة. "أنا مش فاهم!"

لكن الرجل فقط هز رأسه وأغمض عينيه كما لو كان يتوقع هذا السؤال.

– "الوقت مش في صالحك. اللي عايزني أقولك عنك مش هيكون سهلاً."

حازم لم يتراجع. أصابه إحساس بأنه على وشك اكتشاف شيء كبير، شيء قد يغير حياته للأبد.

– "إزاي؟ إزاي ممكن أكون مش أنا؟"

الرجل وقف ثم أشار للورقة التي ما زالت بين يديه.

– "أنت لسه مش جاهز للجواب. لكن قريب هتكتشف... الحياة مش زي ما كنت فاكر."

وفي هذه اللحظة أدرك حازم أن ما كان يظنه حقيقة ربما ليس هو الحقيقة.

وبدأ الصراع الداخلي بين الرغبة في الهروب أو الاستمرار في البحث عن جواب.

هل كان حازم فعلاً حازم الذي يعرفه الجميع؟

قبل أن ينطق حازم بأي كلمة قطع الصمت صوت خافت من الخارج... خطوات مترددة لكنها واثقة، تقترب شيئًا فشيئًا من الباب الخشبي المهترئ.

الرجل تجمد في مكانه وعيناه التصقتا بالباب، حتى أنفاسه أصبحت أكثر هدوءًا كأنه يحاول أن يختفي في الظل.

— "في حد جاي." همس الرجل دون أن يلتفت لحازم.

حازم شعر بانقباض في صدره. من يكون هذا الشخص؟ وهل هو مرتبط بالهجوم الذي تعرضا له سابقًا؟

صوت الطرق كان ناعمًا، ثلاث طرقات بطيئة... ثم صمت.

لحظة ثقيلة مرت قبل أن يُفتح الباب ببطء ويظهر رجل يرتدي معطفًا أسود طويلًا، ووجهه نصف مخفي تحت قبعة منخفضة الحواف.

لم يقل شيئًا فقط وقف عند العتبة ينظر إلى حازم، ثم إلى الرجل الجالس، كانت نظراته باردة لا تحمل أي تعبير كأن وجوده نفسه تهديد صامت.

الرجل الجالس شدّ فكّه ثم قال بهدوء:

– "إنت تبعت حد يتبعنا؟"

الغريب لم يرد فقط تحرك خطوة واحدة إلى الداخل

وهو ما جعل حازم يضع يده ببطء على كتفه

المصاب وكأنه يستعد لأي شيء.

الصمت كان مخيفًا... لكن فجأة تكلم الغريب بصوت

منخفض:

– "جيت أحذركم..."

– "من إيه؟" سأله حازم، صوته أكثر حدة مما توقع.

رفع الرجل رأسه قليلًا كاشفًا عن جزء أكبر من

وجهه... وجه بدا مألوفًا بشكل مقلق لكن حازم لم

يستطع تحديد السبب.

ثم قال الغريب ببرود:

– "لأنكم مراقبين... وكل دقيقة بتقضوها هنا

بتقربكم من النهاية."

حازم شعر بتيار بارد يمر في جسده لكن قبل أن

يسأل أي شيء تابع الرجل:

– "وبالمناسبة... اللي مات النهارده مش آخر واحد

هيموت."

حازم لم يتحرك، لم ينبس بكلمة، فقط حدق في الرجل الغامض محاولًا تحليل كلماته. لكن قبل أن ينطق جاءه الإحساس... إحساس لا يُخطئ. لم يكونوا وحدهم.

من الخارج دوّى صوت سيارة تتوقف فجأة، تبعه صوت باب يُفتح بعنف، ثم خطوات مسرعة على الأرض الرطبة.

الخطر اقترب!

التفت الرجل الجالس بسرعة إلى الغريب وقال بحدة:

— "إنت جبتهم وراك؟!"

لكن الغريب لم يبدُ عليه أي توتر. على العكس ظل ثابتًا ينظر إلى الباب وكأنه كان ينتظر هذا.

— "همًا كانوا جايين على أي حال... أنا بس جيت قبليهم."

حازم لم يفهم شيئًا لكن جسده تحرك قبل أن يدرك ذلك. نظر إلى النافذة فرأى ظلين يتحركان بسرعة باتجاه الكوخ. أحدهم أخرج شيئًا من جيبه...

مسدس!

– "النافذة!" صرخ حازم لكن الرجل الجالس كان أسرع. قفز نحو الرف المليء بالأوراق وسحب شيئًا ما، ثم التفت لحازم ورماه إليه.

– "امسك دي وهرب!"

ورقة... لا ليست مجرد ورقة.

كانت مطوية بإحكام وملوثة ببقع دم جافة وكُتب عليها بخط مرتجف:

"لو كنت تقرأ هذا، فاعلم أن الحقيقة أقرب مما تظن... لكنك قد تموت قبل أن تصل إليها."

– "إيه ده؟!" سأل حازم وهو يحدق في الكلمات.

لكن لم يكن هناك وقت. الباب اهتز بعنف تحت ضربات من يحاول اقتحامه.

الغريب التفت نحو الرجل الجالس ثم قال ببرود:

– "إنت عارف إنهم مش هيخلوك تطلع حيّ صح؟"

الرجل ابتسم ابتسامة حزينة ثم نظر لحازم.

– "إنت اللي لازم تطلع حيّ."

ثم قبل أن يتمكن حازم من الرد قفز الرجل نحو الباب وهو يفتح ذراعيه... لحظة واحدة فقط كانت كافية.

صوت الطلقات دوّى في المكان.

حازم تجمد في مكانه. لم يكن لديه وقت للتفكير.

الغريب أمسكه من معصمه وشدّه بعنف ودفعه نحو النافذة.

— "لو عايز تعيش، اقفز!"

الكوخ اهتز تحت صوت الرصاص.

حازم لم يفكر... فقط قفز.

الظلام ابتلعه لكن الحقيقة كانت تقترب... أكثر مما تخيل.

(14-فبراير- 2025)

فتح حازم عينيه ببطء، الضوء الخافت في الغرفة جعله يرمش عدة مرات حتى تتضح الرؤية. سقف أبيض، جدران صامتة، ورائحة مطهرات تملأ المكان... مستشفى؟ لا، ليس تمامًا.

حاول أن يرفع رأسه لكنه شعر بوخزة في ذراعه، نظر ليجد محلولًا طبيًا موصولًا به. ذهنه مشوش، لم يتذكر سوى صوت الرصاص، والرجل الذي سقط أمامه، والغريب الذي دفعه نحو النافذة... ثم الظلام.

– "أخيرًا فُقت."

التفت بسرعة ليجد فتاة تجلس بجواره، مرتدية معطفًا أبيض، عيناها تراقبه بتركيز وهدوء.

– "إنتِ مين؟" سأل بصوت مبحوح.

الفتاة اعتدلت قليلًا، شبكت أصابعها وقالت بنبرة هادئة:

– "هاجر... الطبيبة اللي أنقذتك."

حازم شرد للحظة... الاسم بدا مألوفًا، لكنه لم يستطع تحديد السبب. نظر حوله محاولًا فهم الموقف، ثم عاد إليها وسأل:

— "أنا كنت فين؟"

هاجر صمتت لثوانٍ قبل أن ترد:

— "كانوا هيموتوك بس حد جابك هنا في آخر لحظة."

ارتفع حاجباه قليلًا، إحساس ثقيل بدأ يتسلل إليه.

— "مين؟"

هاجر نظرت إليه نظرة عميقة ثم قالت بصوت خافت:

— "الشخص اللي أنقذك مات."

شعور بارد اجتاح جسده.

التفاصيل غير مكتملة لكنه كان يعرف شيئًا واحدًا...

ما حدث لم يكن مصادفة.

ضربات قلبه تسارعت. لم يكن متأكدًا مما يجب أن يشعر به... خوف؟ قلق؟ أم غضب لأنه لا يعرف ما الذي يحدث بالضبط؟

حاول أن يرفع جسده من السرير لكن ألمًا حادًا في جانبه أجبره على التوقف. نظرات هاجر لم تفارقه، كانت تتابع كل حركة منه وكأنها تراقب رد فعله أكثر مما تحاول مساعدته.

– "مات؟" كرر كلمتها ببطء وكأنه يحاول استيعابها.

أومأت بهدوء، وقالت:

– "إحنا في أمان حاليًا بس لازم تفهم إنك كنت هدف حد. الشخص اللي أنقذك ضحى بنفسه عشان يبعدك عنهم."

كلمة "هدف" أشعلت شيئًا في ذهنه جعله يضغط على أسنانه بغضب.

– "عن مين بتتكلمي؟!"

هاجر زفرت ببطء ثم قالت بجملة زادت الأمر غموضًا:

– "اللي بعتلك الرسالة كان عارف إنهم هييجوا."

حازم تجمد... الرسالة، البريد الإلكتروني، الحروف الغامضة التي لم يفهم معناها.

— "إنتِ شفتي الرسالة؟!"

— "أنا اللي بعتتها لك."

صاعقة نزلت على رأسه.

نظر إليها بعيون متسعة وكأنه لم يرَها من قبل.

— "إيه؟! إنتِ اللي بعتِ الرسالة؟!"

هاجر لم ترد فورًا فقط رمقته بنظرة تحمل أكثر مما يستطيع استيعابه الآن. ثم قالت:

— "كان لازم تبدأ تدور قبل ما يفوت الأوان."

الأوان على ماذا؟ ومن هم؟ ولماذا أنا تحديدًا؟

أسئلة كثيرة تدافعت في رأسه لكنه شعر أن هذه الليلة لن تحمل سوى المزيد من المفاجآت، والمزيد من الخطر.ضغط حازم على قبضته محاولًا استيعاب كل شيء لكن عقله كان يرفض الهدوء. قلبه ينبض بسرعة غير طبيعية، والألم في جسده لم يكن شيئًا مقارنة بالفوضى في رأسه.

نظر إلى هاجر بعينين مليئتين بالشك والتوتر.

— "إنتِ اللي بعتِ الرسالة؟ ليه؟ وإيه اللي بيحصل؟!"

هاجر لم ترد مباشرة وكأنها كانت تقرر ما الذي تستطيع قوله وما الذي يجب أن تخفيه. ثم بعد لحظة صمت طويلة قالت بصوت منخفض لكنه حاد:

— "لأنك الوحيد اللي يقدر يعرف الحقيقة."

حازم عقد حاجبيه وزادت حيرته.

— "حقيقة إيه؟! أنا أصلاً مش فاهم حاجة، حد بيحاول يقتلني، وبعدين فجأة حد ينقذني ويموت مكاني، ودلوقتي إنتِ بتقولي إني لازم أعرف الحقيقة؟! أي حقيقة؟!"

هاجر نهضت من كرسيها وسارت ببطء نحو النافذة الصغيرة وكأنها تحاول أن تجمع أفكارها قبل أن تتحدث.

— "من سنتين فيه شخص كان بيدور عليك."

حازم شعر بقشعريرة تسري في جسده.

— "مين؟"

هاجر استدارت ببطء، نظراتها هذه المرة لم تكن فقط هادئة... بل خطيرة.

— "واحد من ماضيك."

وكأن العالم كله توقف للحظة.

ماضيه؟ لكن ماضيه لا يحمل أي شيء غريب. لا أعداء، لا أسرار، فقط فقدان والديه، وحياة عادية لا تستحق أي اهتمام.

– "ماضيي؟ إنتِ أكيد غلطانة."

هاجر لم تتزحزح بل قالت بجملة واحدة هدمت كل شيء كان يعتقده عن حياته:

– "الظاهر إنك مش فاكر كل حاجة حازم."

شعور خانق اجتاحه وكأن هناك جزءًا من حياته قد سُرق منه دون أن يدري.

قبل أن يتمكن من الرد سُمع صوت ضجة بالخارج، أحدهم يقترب.

نظرت هاجر بسرعة إلى الباب ثم عادت إليه وقالت بصوت حاد:

– "لو عايز تعيش لازم تخرج من هنا حالًا!"

لم يكن لديه وقت للسؤال؛ لأن الباب انفتح بعنف... والمواجهة بدأت.

انفتح الباب بقوة واندفع رجلان إلى الداخل. عيونهما كانت تبحث عن شيء محدد أو بالأحرى... عن شخص محدد.

— "خدوه!"

لم يكن لدى حازم وقت للتفكير. كل ما رآه هو يد تمتد نحوه، لكنه تحرك بشكل غريزي مدفوعًا بالأدرينالين أكثر من أي شيء آخر. تراجع للخلف لكن الألم في جانبه جعله يتعثر للحظة.

هاجر تصرفت بسرعة أمسكت بشيء كان مخفيًا خلفها—مصباح صغير لكنها استخدمته كسلاح وضربت به وجه أحد الرجال بكل قوتها.

الرجل صرخ متألمًا بينما استغل حازم الفوضى ليندفع نحو الآخر مستخدمًا وزنه لإسقاطه أرضًا.

لكنه لم يكن قويًا كفاية فالرجل كان مستعدًا وبضربة سريعة إلى معدته شعر حازم بالهواء يُسحب من رئتيه.

— "أخرجوه من هنا حالًا!"

صوت آخر قادم من الخارج.

هاجر تحركت بسرعة نحو النافذة فتحتها ونظرت إلى حازم ثم صاحت:

— "اقفز!"

— "إنتِ مجنونة؟!"

— "لو فضلت هنا مش هتشوف ضوء الشمس تاني!"

لم يكن هناك وقت للاختيار، الرجال كانوا يستعيدون سيطرتهم وأحدهم سحب شيئًا من جيبه—سكين.

دون تفكير آخر اتجه حازم نحو النافذة وقفز.

سقط في الظلام، الهواء يصفع وجهه، والصدمة تجتاح جسده.

ارتطم بالأرض بقوة، الألم انفجر في ظهره لكنه أجبر نفسه على النهوض. التفت سريعًا للأعلى حيث رآها...

هاجر كانت تقف عند النافذة، نظراتها جامدة، لكنها لم تقفز.

قبل أن يتمكن من الصراخ باسمها اختفت من أمامه.

والنافذة أُغلقت.

وكان هذا آخر شيء رآه قبل أن يسمع صوت الرصاص يُطلق في الداخل.

تسارعت دقات قلبه، وعيناه اتسعتا في صدمة.

رصاص في الداخل!

هاجر؟!

حاول العودة لكن صوته لم يخرج. خطواته ترددت، هل اقتحم المكان مجددًا؟ هل كانت تلك آخر لحظاتها؟

لكن لم يكن هناك وقت.

صوت آخر شق سكون الليل، صوت محركات دراجة نارية تتجه نحوه بسرعة.

حازم استدار، جسده ما زال في حالة صدمة لكنه لمح الشخص الذي يقود الدراجة. لم يكن يعرفه.

لكنه صرخ فيه:

— "اركَب!"

هل يثق به؟ لا وقت للتفكير. صوت باب المبنى يُفتح بعنف، الرجال الذين كانوا يطاردونه خرجوا، أحدهم يرفع سلاحًا.

— "امسكوه!"

لم يكن أمامه خيار. قفز على الدراجة قبل أن يشعر بيد تمتد نحوه، لكنها لم تمسكه في الوقت المناسب.

المحرك زأر والدراجة انطلقت.

الهواء ضرب وجهه والعالم بدأ يتحرك بسرعة جنونية. زوايا المباني، الأضواء الخافتة، الشوارع الضيقة... كلها أصبحت ضبابًا من السرعة والخوف.

حازم صرخ للسائق:

— "انت مين؟! ورايحين فين؟!"

الرجل لم يرد فورًا لكنه زاد من السرعة قبل أن يقول بصوت بارد:

— "لمكان آمن... بس لو كنت فاكر إن دي النهاية يبقى انت مش فاهم حاجة."

حازم شعر بقبضة من الخوف والانهيار تلتف حوله.

نظر للخلف ولم يرَ هاجر.

كانت هناك أسئلة كثيرة، لكن السؤال الأكبر كان يحرق عقله:

هل هاجر ما زالت على قيد الحياة؟

كان الظلام يحيط بالمكان ورائحة الرطوبة تملأ الهواء. حازم شعر بصداع خفيف وهو يحاول استيعاب ما حدث. آخر ما يتذكره هو صوت الدراجة النارية ثم توقف مفاجئ، ثم... لا شيء.

فتح عينيه ببطء. كان مستلقيًا على فراش بسيط في غرفة شبه فارغة تتوسطها طاولة خشبية قديمة.

ضوء خافت يتسلل من نافذة صغيرة بالكاد يكشف عن الجدران المتآكلة.

"صحيت أخيرًا."

كان الصوت نفسه الرجل الذي أنقذه. وقف عند الباب ينظر إليه بعينين حادتين.

"فين إحنا؟" سأل حازم وهو يجلس بصعوبة.

"في مكان آمن مؤقتًا، بس ده مش المهم دلوقتي."

حازم لم يكن في حالة تسمح له بالتفكير، لكنه تذكر فجأة... هاجرا!

"فين البنت اللي كانت معايا؟" قالها بسرعة محاولًا النهوض، لكن الرجل أشار له بأن يهدأ.

"دي المشكلة..." قال الرجل بصوت منخفض. "البنت اختفت."

تجمد حازم في مكانه.

"إزاي؟!"

"محدش يعرف." تنهد الرجل وجلس على الطاولة.

"بس اللي حصل مش صدفة.

في حد كان مستهدفكم، وأعتقد إنك عرفت ده كويس."

حازم لم يرد، كان هناك الكثير من الأسئلة تدور في رأسه، لكن شيئًا واحدًا كان واضحًا... هذه لم تكن مجرد مصادفة.

لكن قبل أن يستطيع التفكير أكثر رن هاتف الرجل فجأة. نظر إلى الشاشة ثم إلى حازم.

"استعد... احنا لسه في بداية المشكلة."

ظل حازم يحدق في الرجل أمامه محاولًا فهم ما يجري. شعر أن هذا الرجل لا يظهر كل شيء، لكنه في الوقت نفسه لم يكن يملك خيارًا آخر سوى سماعه.

"مين إنت؟ وليه أنقذتني؟"

ابتسم الرجل ابتسامة خفيفة لكنها كانت تخفي وراءها الكثير. "اسمي يوسف عمران. ولو عاوز الحقيقة... أنا مدين لأبوك."

تجمدت ملامح حازم. لم يكن أحد يتحدث عن والده، بالكاد كان يتذكره. مات في حادث عمل قبل أن يراه حتى.

"أعرف إن ده مش وقت كلام طويل بس اللي تقدر تعرفه دلوقتي إن اللي حصل لك مش مجرد صدفة.

في حد عاوزك تموت، وحد تاني عاوزك تعيش وأنا مع التاني."

حازم شعر أن رأسه سينفجر. نظر حوله محاولًا استيعاب المكان ثم تذكر فجأة...

"وهاجر؟"

أمسك يوسف كوبًا من الماء ورشف منه قبل أن يرد بهدوء: "اختفت."

لم يكن حازم بحاجة إلى سماع أكثر من ذلك. نهض بسرعة رغم الدوخة التي شعر بها وأمسك يوسف من ذراعه بقوة.

"إزاي اختفت؟! مين اللي خدها؟"

"لو كنت أعرف كنت قولتلك." سحب يوسف ذراعه وأشار لحازم بالجلوس. "لكن متقلقش مش هنسيبها."

حازم لم يكن يستطيع الجلوس. أدرك أن حياته التي كانت مملة ورتيبة قد تحولت فجأة إلى فوضى غير مفهومة. اختفاء هاجر لم يكن مجرد مصادفة وهو نفسه أصبح هدفًا لشخص لا يعرفه.

نظر يوسف إلى الساعة ثم وقف.

"استعد عندنا مشوار صغير."

"مش هتحكيلي أي حاجة؟"

"في الوقت المناسب، بس دلوقتي لازم نتحرك."

حازم لم يكن لديه خيار، لكنه كان يعلم أن هذه الليلة لن تمر بسلام.

بينما ينطلق حازم مع يوسف، هناك مكان آخر في غرفة معتمة، تستعيد هاجر وعيها ببطء. كان هناك صوت خطوات تقترب ويد تدفع الباب ببطء...

وسط الظلام كان المكان أشبه بفراغ بلا نهاية، لا أصوات إلا صوت أنفاس مضطربة، لا ضوء إلا شبح مصباح يتأرجح في السقف كأنما يحتضر. هاجر كانت هناك مقيدة، وملامحها تحمل مزيجًا من الغضب والخوف، لكن عينيها ظلتا ثابتتين لم ترتجفا.

أمامها وقف رجل طويل القامة بملامح لم تُحدد بالكامل تحت ظل قناع أسود، صوته كان هادئًا لكنه يحمل نبرة تهديد مبطنة:

— "ظننتِ أنكِ ستختفين بسهولة؟ نحن نعرف من تكونين، ونعرف أيضًا أن وجودك بجانب ذلك الفتى ليس مجرد صدفة."

هاجر لم ترد، كانت تحاول استيعاب كلمات الرجل لكنها أدركت شيئًا واحدًا:

هؤلاء ليسوا مجرد خاطفين عاديين.

الرجل أكمل بصوت أكثر برودًا:

— "أخبرينا أين الورقة؟"

ارتفع حاجباها في دهشة، لم تكن تعلم أن القصة تتعلق بشيء مادي. الورقة؟ أي ورقة؟

قبل أن تسأل، تابع الرجل بنبرة أخطر:

— "أو ربما.. يجب أن نسأل حازم نفسه."

اسم حازم سقط في الفراغ كرصاصة، وأدركت هاجر حينها أنهم يعرفون عنه كل شيء، وأنهم ليسوا هنا من أجلها فقط بل للوصول إليه.

من زاوية الغرفة ظهر رجل آخر، ضخم الجسد، ووجهه يحمل ندبة طويلة على خده الأيسر. نظر إلى القائد بصوت أجش:

— "ماذا نفعل بها؟"

القائد فكر لوهلة، ثم قال:

— "نراقب. ننتظر. إذا لم يتحرك حازم قريبًا.. سنرسل له رسالة تُجبره على ذلك."

هاجر لم تعد بحاجة إلى تفسير. هؤلاء الرجال لا يمزحون، وهم يملكون كل شيء.. عدا الصبر.

أما في مكان آخر..

كان حازم يجلس في غرفة يوسف، الغرفة التي تحولت إلى مأواه المؤقت بعد الليلة الماضية.

الورقة التي أعطاه إياها الرجل قبل موته كانت بين يديه لكنها لم تكن مجرد ورقة بل كانت أشبه بشفرة، رموز مبهمة، كلمات متناثرة لا معنى لها، لكنها كانت تحمل شيئًا واحدًا واضحًا:

"البحث عن الماضي ليس دائمًا في صالحك."

نظر يوسف إلى حازم ثم قال بجدية:

— "يبدو أن والدك ترك لك أكثر من مجرد ذكريات حازم."

رفع حازم بصره إليه للحظة لم يكن متأكدًا إن كان يريد معرفة الحقيقة أم نسيانها للأبد.

تردد السؤال داخل عقله كصدى لا نهاية له. أي حقيقة يمكن أن تغير شيئًا الآن؟ أي ماضٍ يمكن أن يعيد له ما فقده؟ رفع حازم بصره إلى يوسف مرة أخرى ثم زفر بصوت خافت كأنه يحاول التخلص من حمل ثقيل.

– "أخبرني."

نظر يوسف حوله بحذر قبل أن يقترب أكثر، صوته كان منخفضًا لكنه يحمل يقينًا غريبًا:

– "أنت لا تعرف شيئًا عمّا يجري أليس كذلك؟ لا تعرف من الذي طاردك، ولا لماذا أرادوا قتلك، ولا حتى.. لماذا اختفت الفتاة."

تجمدت أنفاس حازم عند الجملة الأخيرة. لم يكن قد استوعب تمامًا أن هاجر قد اختفت بالفعل، لم يكن الأمر مجرد سوء تفاهم، أو هروب، بل كان هناك شيء أكبر بكثير.

– "ماذا تعني باختفائها؟"

أشاح يوسف بوجهه قليلًا كأنه لا يريد أن يكون أول من يصرّح بالحقيقة.لكنه عاد لينظر إليه مباشرة:

— "هاجر لم تختفِ وحدها، لقد تم أخذها."

شعر حازم بانقباض مفاجئ في صدره. كل شيء حدث بسرعة لكنه لم يتوقع أن تكون هاجر جزءًا من هذا الجنون. حاول أن يبقى هادئًا لكن صوته خرج أكثر حدة مما أراد:

— "من أخذها؟ ولماذا؟"

تنهد يوسف ببطء ثم قال بصوت خافت لكن كلماته كانت كالسكاكين تخترق الهواء:

— "الأشخاص الذين حاولوا قتلك، هم نفسهم الذين أخذوها."

ارتفع نبض حازم، شعر للحظة أن الأرض تميد تحته. لكنه تمالك نفسه بسرعة ثم قال:

— "من هم؟"

هنا نظر يوسف إليه طويلًا قبل أن يجيب كأنه كان يختبر استعداده لسماع الحقيقة:

— "الشيخ.. ومن معه."

كان وقع الاسم أشبه بصاعقة. لم يكن حازم بحاجة لسماع المزيد ليدرك أن الأمور أكثر تعقيدًا مما توقع.

تردد الاسم داخل عقل حازم كصدى بعيد لكنه لم يكن بعيدًا بما يكفي لينكره. الشيخ؟ أي شيخ؟ هل يقصد ذلك الرجل الذي ظهر في الظل، أم أن هناك شخصًا آخر يتحكم في كل شيء من خلف الستار؟

قبض يده ببطء يحاول كبح الغضب الذي بدأ يغلي في صدره. شعر وكأن جزءًا من عقله يرفض التصديق، بينما جزء آخر كان يركض بجنون بحثًا عن خيط يربط الأحداث ببعضها.

— "لماذا؟ لماذا يأخذونها؟ ماذا يريدون منها؟"

أطرق يوسف برأسه قليلًا ثم قال بصوت خافت:

— "الأمر لا يتعلق بها فقط.. بل بك أنت أيضًا."

تشنج فك حازم، نظر إلى يوسف بحدة وكأن نظراته تطالب بتفسير أكثر وضوحًا. تابع يوسف بعد لحظة صمت:

— "هاجر لم تُختطف لمجرد الصدفة.. بل لأنها كانت قريبة منك. هم يريدونك، لكنها كانت في طريقهم."

شعر حازم بقشعريرة باردة تزحف على عموده الفقري.

فكرة أن أحدًا يستهدفه لم تكن جديدة عليه بعد ما حدث، لكنه لم يتخيل أن تصل الأمور إلى هذا الحد.

– "ومن هم؟ من يكون هذا الشيخ؟"

ابتلع يوسف ريقه بصعوبة ثم قال:

– "شخص لن ترغب في لقائه أبدًا."

صمت للحظة ثم تابع بنبرة أكثر خطورة:

– "لكنك ستضطر لذلك."

أحس حازم بأن يوسف لا يخبره بكل شيء لكنه لم يكن في وضع يسمح له بالضغط عليه. أولويته الآن كانت واضحة:

– "أين أخذوها؟"

أطلق يوسف زفرة طويلة كأنه كان يتوقع السؤال ثم قال:

– "هناك مكان خارج البلدة.، مكان لا يدخله إلا من يملكون الجرأة الكافية."

لم يكن لدى حازم وقت للتردد. وقف فجأة عازمًا على التصرف، لكن يوسف وضع يده على كتفه يمنعه من الاندفاع الأهوج.

– "إذا كنت ستذهب فاذهب بعقل وليس بغضب.

هؤلاء ليسوا مجرد أشخاص عاديين، إنهم مستعدون لفعل أي شيء."

لم يرد حازم لكنه شعر أن المواجهة أصبحت حتمية.

"لن يسمح لهم بالاحتفاظ بها ولن يسمح لنفسه بأن يكون مجرد قطعة يتم تحريكها في لعبة لم يختر أن يكون جزءًا منها".

وقف حازم للحظة،وعقله يعمل بسرعة. كل شيء بدأ يتشكل أمامه كصورة غير مكتملة لكنها تزداد وضوحًا مع كل كلمة يسمعها. هاجر لم تكن الهدف بل هو.

الشيخ ومن معه يتحركون في الظل، يراقبونه، يخططون لشيء أكبر مما يتخيله.

تنفس بعمق محاولًا السيطرة على أفكاره. لا مجال للانفعال الآن. نظر إلى يوسف الذي كان يراقبه بنظرة حذرة وكأنه يختبر صلابته.

– "دلني على المكان."

هز يوسف رأسه ببطء ثم قال:

– "لا يمكنك الذهاب وحدك، ليس الآن."

– "ولماذا لا؟ كل دقيقة تمضي قد تعني أنها في خطر أكبر!"

– "وأي خطوة خاطئة منك قد تعني أنك لن تراها مجددًا."

تصلبت ملامح حازم. كان يعلم أن يوسف على حق لكنه كره الشعور بالعجز، كره أن يكون الطرف الذي ينتظر بدلًا من أن يتحرك.

– "إذن ما الحل؟"

اقترب يوسف منه، صوته خفيض لكنه يحمل ثقلًا لا يستهان به:

– "أنت تظن أن هذه مجرد عملية اختطاف؟ لا حازم هذه لعبة أكبر بكثير. أنت جزء من شيء لم تدركه بعد، وعليك أن تعرف القواعد قبل أن تقفز في المنتصف."

كان في كلامه شيء أربك حازم أكثر مما توقع. ما الذي يعنيه يوسف؟ أي لعبة تلك التي يُزَجُّ فيها دون أن يدري؟ ولماذا هو تحديدًا؟

قبل أن يتمكن من طرح أسئلته تابع يوسف بسرعة:

– "هناك شخص قد يساعدنا لكنه لن يفعل ذلك إلا إذا اقتنع بأن الأمر يستحق المخاطرة."

– "ومن هو؟"

نظر يوسف إليه نظرة طويلة قبل أن يجيب:

– "رجل يعرف الشيخ أكثر من أي شخص آخر؛ لأنه كان واحدًا منهم."

اتسعت عينا حازم قليلًا. كان يشعر أن كل خطوة يقترب بها من الحقيقة تأخذه إلى منعطف أكثر خطورة. لكنه لم يعد يملك رفاهية التراجع.

– "أين أجده؟"

ابتسم يوسف نصف ابتسامة ثم قال:

– "في مكان لا يدخله إلا من يملكون الجرأة الكافية."

تذكر حازم أن يوسف قال الجملة نفسها قبل قليل لكنه الآن بدأ يدرك معناها الحقيقي. هذه لم تكن مجرد مهمة إنقاذ بل كانت خطوة نحو كشف ما يجري خلف الكواليس.

وربما كانت الخطوة التي ستغير حياته بالكامل.

كان الليل قد حل لكنه لم يكن ليلًا عاديًا. كان أشبه بستار يخفي تحته أسرارًا ثقيلة، وخلفه تنتظر إجابات لا يعرف حازم إن كان مستعدًا لها.

قاد يوسف دراجته في شوارع المدينة المظلمة بينما جلس حازم خلفه وعيناه تراقبان الطريق، وأذناه تصغيان لأي حركة مريبة. لم يكن يثق بأحد تمامًا حتى يوسف نفسه، لكنه لم يكن يملك خيارًا آخر.

توقفا عند زقاق ضيق، بين بنايات قديمة تبدو وكأنها خرجت من زمن آخر. نزل يوسف عن الدراجة وأشار لحازم باتباعه.

— "نحن قريبون."

— "ما هذا المكان؟"

نظر يوسف حوله وكأنه يتأكد من خلو الشارع ثم قال بصوت منخفض:

— "مكان لا يعرفه إلا القليلون.. والأفضل أن يبقى كذلك."

لم يفهم حازم لكنه لم يسأل. كان يعلم أن الإجابات ستأتي إن لم يكن الآن فلاحقًا.

اقترب يوسف من باب حديدي قديم وطرق عليه ثلاث مرات بإيقاع محدد. مرت ثوانٍ قبل أن يُفتح الباب بصوت صرير خفيف وظهر رجل مسن، له لحية بيضاء قصيرة وعيون ثاقبة.

— "من هذا؟" سأل الرجل وهو يحدق في حازم بنظرة مشككة.

— "شاب يبحث عن الحقيقة."

تأمل الرجل وجه حازم قليلًا قبل أن يخطو جانبًا مشيرًا لهما بالدخول.

عندما دخل حازم وجد نفسه في غرفة صغيرة مليئة بالكتب والخرائط والوثائق القديمة. الجو بارد رغم أن النوافذ مغلقة، وكان هناك ضوء خافت ينبعث من مصباح وحيد معلق بالسقف.

جلس الرجل على كرسي خشبي وأشار لحازم بالجلوس أمامه.

— "ما اسمك يا بني؟"

— "حازم."

— "حازم أيمن سليمان.." قال الرجل بصوت وكأنه يختبر وقع الاسم على لسانه. ثم تابع: "إذن، ها قد أتيت أخيرًا."

شعر حازم بقشعريرة في عموده الفقري.

— "تعرفني؟"

— "بل أعرف والدك رحمه الله."

تسارعت نبضات قلب حازم لكنه لم ينطق.

انتظر الرجل ليكمل.

— "كان رجلًا شجاعًا دفع ثمن شجاعته."

تصلب حازم ثم سأل بصوت منخفض لكنه حاد:

— "ما الذي تقصده؟"

ابتسم الرجل نصف ابتسامة ثم قال:

— "ما رأيك أن نبدأ من الورقة التي تبحث عنها؟"

شعر حازم أن اللعبة بدأت تأخذ منحى أخطر بكثير مما توقع.ساد الصمت للحظات، لم يكن صمتًا عاديًا بل كان محملًا بالتوتر والأسئلة العالقة. حدق حازم في الرجل العجوز الذي بدا وكأنه يختبر صبره ثم قال بصوت حاد:

— "ما الذي تعرفه عن الورقة؟"

ألقى الرجل نظرة سريعة على يوسف الذي اكتفى بالصمت، ثم أخرج من جيبه ورقة قديمة مطوية بعناية ووضعها أمام حازم.

— "أنت تبحث عن هذه أليس كذلك؟"

شعر حازم بأن أنفاسه توقفت للحظة. لم تكن الورقة التي أعطاها له الرجل العجوز مجرد ورقة عادية بل كانت شبيهة بالورقة التي تلقاها من الرجل الذي مات بين يديه.

مد يده إليها ببطء وكأنه يخشى أن تختفي قبل أن يلمسها. عندما فتحها وجد سطورًا مكتوبة بخط يد قديم لكنها واضحة:

"إذا وجدت هذه الورقة، فأنت أقرب إلى الحقيقة مما تظن. لا تثق بأحد.. حتى بنفسك."

ارتجفت أصابعه للحظة ثم رفع نظره إلى الرجل العجوز وسأله بحدة:

— "من كتب هذا؟"

تنهد الرجل العجوز وأجاب بصوت خافت:

— "أبوك."

شعر حازم أن قلبه توقف لثانية. ارتبك، لم يكن يعرف كيف يتفاعل مع هذه المعلومة. والده مات قبل أن يراه، فكيف يترك له رسالة؟ وكيف وصلت إليه الآن؟

أمسك يوسف بكتفه كأنه يحاول إعادته إلى الواقع، ثم قال للرجل العجوز:

— "نحتاج إلى تفاصيل أكثر."

أومأ الرجل ببطء ثم قال:

— "لكن قبل ذلك يجب أن أخبركما بشيء.. هناك من يراقبكما ولن يسمح لكما بالوصول إلى النهاية بسهولة."

شعر حازم بقشعريرة تسري في جسده. أدرك أن الأمور ليست مجرد لغز، بل معركة قد تكون أكبر مما تخيل.

حازم لم يتحدث. شعر بأن الهواء أصبح أثقل، وكأن الكلمات التي خرجت من فم الرجل العجوز لم تكن مجرد تحذير، بل إعلان لحرب خفية لم يكن مستعدًا لها.

نظر إلى يوسف فوجده ينظر إلى العجوز بنفس الحذر. كان في عينيه تساؤلات كثيرة لكنه فضل الصمت.

تنهد الرجل العجوز ثم أكمل بصوت منخفض:

– "الورقة التي معك ليست الوحيدة.. هناك أجزاء أخرى. وأنت الآن وسط من يريدون إخفاء الحقيقة ومن يريدون كشفها."

رفع حازم حاجبيه وسأله:

– "ومن أنتم؟"

ضحك الرجل العجوز ضحكة قصيرة لم تكن تحمل أي مرح ثم قال:

– "نحن من تبقى."

قبل أن يستوعب حازم الجملة سمعوا صوتًا بالخارج. خطوات تقترب بسرعة. تبادلوا النظرات ثم همس يوسف:

– "لا يمكن أن يكونوا قد وجدونا بهذه السرعة!"

وقف الرجل العجوز بهدوء كأنه مستعد لما سيحدث وقال بصوت ثابت:

– "حازم لا يهم ما ستفعله لاحقًا لكن تذكر بعض الإجابات أخطر من الأسئلة نفسها."

فتح الباب ببطء وكأنه يعرف من في الخارج.

وبمجرد أن فعل رأى حازم وجوهًا مألوفة لم يكن يتوقع رؤيتها هنا.

لكنها لم تكن وحدها، خلفها وقف رجلان بملامح باردة، وأحدهما أمسك بذراعها وكأنه يسحبها معه.

– "حازم!" صرخت هاجر قبل أن يدفعها الرجل إلى الداخل بقوة جعلتها تتعثر.

وقف حازم بسرعة وأراد الاندفاع نحوها لكن الرجل الذي دخل خلفها رفع يده مشيرًا له بالتوقف.

– "أعتقد أنك حصلت على ما يكفي من الألغاز حان وقت الإجابات."

نظر إليه حازم بحدة ثم إلى هاجر التي كانت أنفاسها متسارعة.

كان يعلم أن هذا ليس مجرد تهديد عابر.

الأمور بدأت تتعقد أكثر، وأصبح الخطر أقرب مما يظن.وقف حازم بسرعة، قلبه ينبض بشدة وكأن كل دقة منه تحصي خطورة اللحظة. انحنى إلى هاجر التي كانت تتخبط في محاولة المقاومة بينما كان الرجلان يُحاولان سحبها بعيدًا. وقف حازم مشدوهاً يشعر بالغضب والخوف معاً.

صرخت هاجر بصوت خافت مليء باليأس:

– "لا تتركني."

تردد صداها في أذني حازم فتملكه الإصرار على التحرك لكنه تذكر تحذير الرجل الذي دخل خلفها قائلاً:

– "أعتقد أنك حصلت على ما يكفي من الألغاز حان وقت الإجابات."

توقف لحظة وأخذ يتنفس بعمق ثم مد يده نحوهما بحزم. لم يكن ينوي السماح لأحد بأن يفصل بينه وبين هاجر أو يُتركها تعاني وحدها.

في تلك اللحظة انقض أحد الرجلين نحو حازم بسكين مقلوب بيده وعيناه تتوهجان بنظرة قاسية.

اندفع حازم وهو يرفع يده محاولة صد الضربة لكن الرجل الآخر تدخل فجأةً، مسك بيد هاجر بقوة أكبر مما توقعت.

صرخ الرجل ذو الوجه المجهول، صوته يتردد في الزاوية الضيقة للغرفة:

– "لن تسمحوا لها بالهرب! إن الإجابات لا تأتي لمن يهرب."

ارتجفت هاجر وكأنها كانت تقاوم أمواج الغضب والخوف معًا. في تلك اللحظة اندفعت كلمات يوسف من خلف حازم:

— "حازم تذكر ما قاله والدك... الشجاعة لا تعني عدم الشعور بالخوف، بل مواجهة الخوف حتى لو كان الموت ينتظرك."

تلك الكلمات كانت بمثابة شرارة أضاءت عيني حازم، فأخذ يقاطع الرجل الذي اقترب قائلاً:

— "لن أدع أحدًا يأخذها مني."

بدا أن الصراع اقترب من ذروته، أصوات خافتة تصرخ في الخارج، وأصوات خطوات تقترب من الباب الخارجي. بدأ الخطر الحقيقي يلوح في الأفق. وفي خضم الفوضى ارتفعت الأصوات المتداخلة: صراخ، صوت سكين يتلامس مع الجلد، وهمسات مريبة. شعر حازم بأن هذه اللحظة هي نقطة التحول؛ حيث أن كل ما كان يظنه مجرد لغز بدأ يتحول إلى معركة حقيقية على حياته وعلى من يحبهم.

ببطء تمكن أحد الرجلين من تحرير هاجر، فارتطمت بقدميها وسقطت إلى الأرض متألمة.

اندفع حازم إليها ملتقطاً يدها بعناية، بينما كان يحاول صد الضربات القادمة من الخصوم.

في تلك اللحظة تداخلت كلمات يوسف مع ضوضاء المعركة قائلاً:

— "علينا أن نخرج من هنا بسرعة لا يوجد مجال للمماطلة الآن."

لم يكن أمام حازم خيار سوى أن يأخذ هاجر وينقذها مهما كلف الأمر. بصوت مبحوح لكنه مصمم قال:

— "لن أدعهم ينتزعونها مني سأقاتل حتى آخر نفس."

تخللت رعب اللحظة صراخ الرجل المجهول مرة أخرى:

— "أنتم في ورطة كبيرة الآن، الحقيقة قادمة ولا مفر منها!"

انقلبت الهمسات إلى هدير متصاعد وضحكات مريبة تكسر صمت الليل. شعر حازم بأن الزمن يتسارع وأن كل ثانية قد تكون الأخيرة. وبينما كان يرفع هاجر نحو المخرج لم يستطع أن يمنع نفسه من التفكير:

هل كانت هذه المواجهة بداية نهاية هذه اللعبة الغامضة؟ أم أن الخطر الأكبر لا يزال يختبئ في الظلال؟

لم يعد هناك مجال للانتظار أو التردد. اندفع حازم بلا هوادة مدفوعًا بغضب يذوب في دمه وشجاعة تولدها رغبته في إنقاذ هاجر مهما كلف الأمر.

بسرعة اقتحم حازم ساحة الصراع؛ حيث كانت هاجر تتصارع مع أحد المهاجمين وقد اشتدّ القتال في المكان. دون تفكير اقترب حازم ورفع قبضته باتجاه الرجل الذي كان يحاول السيطرة على هاجر. ارتطمت قبضته بجسد خصمه في تحليق لعنيف بين اللكمات والصراخ.

على مقربة منه كان يوسف يشارك المعركة بشراسة، يداه تتداخلان مع حركات حازم كأنهما جسد واحد يتصدون لهجمات المهاجمين الذين تهاجمهم بلا رحمة. تصاعدت الأصوات صوت الطلقات ينفجر بين جدران المكان وصراخ المقاتلين، ما جعل الهواء يكتظ بالغبار والدماء.

وبينما كان القتال يشتد تذكّر حازم كلمات يوسف التي قيلت بلطف ولكنها حملت في طياتها رسالة: "لن أدع أحدًا يأخذها مني!" ومع كل ضربة كان يُوجهها كان يُعيد تأكيد عهده في قلبه وأن هذه المعركة لن تكون سوى خطوة على طريق كشف الحقيقة.

في لحظة حاسمة اندفع حازم نحو مخرج ضيق ظهر خلف إحدى الزوايا، وعندما فتحه الرجل المجهول بصوت مبحوح أدرك الثلاثي أن الفرصة قد حانت. دون تردد استغلّوا الفوضى التي أسيجها القتال، هربوا عبر ممرات مظلمة وزوايا ضيقة تاركين وراءهم صدى اللكمات والطلقات.

كانت الأرواح معلقة بين صراع البقاء ورغبة الكشف عن الأسرار، وحازم وهو يحمل هاجر بين ذراعيه، شعر أن كل ثانية تمضي تُقربهم أكثر إلى مواجهة الحقيقة التي طالما أخفتها الظلال.

وسط هذا الهروب المتسارع كان يوسف يتفقد الأنوار الباهتة التي تنير الممر، بينما كانت خطواتهم تصدح بالصمت المرهق كأن الزمن توقف ليستمع إلى صرخاتهم.

ورغم كل الألم والخوف كانوا يعلمون أنهم قد خطوا خطوة كبيرة، خطوة قد تكون بداية نهاية الكابوس الذي عاشوه، أو ربما بداية مرحلة جديدة من الصراع مع قوى لا تظهر إلا في أعماق الظلام.

وبينما كان الثلاثي يقترب من الباب الحديدي الذي يقود إلى مخرج آمن محتمل نظر حازم إلى هاجر عيونها المليئة بالألم والتحدي أخبرته أن المعركة لم تنتهِ بعد، وأن هناك أسرارًا تنتظر الكشف.

في تلك اللحظة تأكد حازم من قراره أنه سيقاتل حتى آخر نفس لإنقاذها وللكشف عن الحقيقة التي أدرك أنها تكمن خلف كل كلمة، خلف كل رسالة، وخلف كل اسم يذكر، حتى ذلك الاسم الذي يهمس في الأفق: الشيخ

وقف الثلاثي عند الباب الحديدي المهترئ والهواء مشبعٌ بالتوتر وخوف المجهول. كان يوسف يحاول بث قدر من الهدوء في نفوسهم، بينما كانت خطواتهم تتباطأ وكأن الزمن نفسه توقف ليستوعب ما حدث.

وفي تلك اللحظة الحرجة توقفت هاجر فجأة. بدت عيناها مليئتان بالألم والقرار وكأن هناك سرًا كان يجب أن يُفصح عنه مهما كلف الأمر.

همست هاجر بصوت مرتجف لكن كلماتها حملت ثقل الحقيقة:

— "عندي شيء يجب أن أخبركم به، شيء أخفيته منذ زمن طويل."

صمت الجميع وانحنى حازم نحوها وهو يحاول التقاط أنفاسه، بينما نظر يوسف إليها بنظرة مشددة.

تابعت هاجر وعيناها تلمعان بالدموع المكبوتة:

— "كنت أتلقى رسائل من والدك، رسائل سرية لم يُرَ لها النور. تلك الرسائل كانت تخبرني بمكان مخبأ، مكان يحتوي على وثائق تثبت تورط مجموعة كبيرة في مؤامرة عظيمة.

هذه الوثائق تكشف أن الشيخ كما يُعرف الآن ليس سوى واجهة لشبكة أعمق ،شبكة تربط بين النفوذ والفساد في أرجاء البلاد.

– كنت أحاول حمايتها لكنهم كانوا يقتربون ولم يكن أمامي خيارٌ سوا أن أبقي السر لنفسي.

– الآن وبعد ما حدث يجب أن تعرف: هذا المخبأ هو المفتاح، والمعلومات التي بداخلها ستغير كل شيء.

تردد حازم في البداية وكأن الكلمات تتردد في أذنه:

– "كيف... كيف يمكن أن يكون هذا؟"

انحنى يوسف أكثر نحو هاجر وكأنما يستجمع شجاعته لسماع المزيد.

رفع حازم بصره إليه للحظة، لم يكن متأكدًا إن كان يريد معرفة الحقيقة أم نسيانها للأبد.

صمت يوسف للحظة وكأنه يقيس رد فعل حازم ثم قال بهدوء: "والدك أنقذني من الغرق."

تجمدت ملامح حازم لم يكن يتوقع ذلك. تسارعت الأفكار في ذهنه، كيف يمكن لهذا الرجل أن يكون مرتبطًا بوالده؟

تابع يوسف وهو ينظر بعيدًا: "كنت طفلًا حينها في أحد الأيام الشتوية سقطت في النهر ولم يكن هناك من ينقذني... لولا والدك لما كنت هنا الآن."

ابتلع حازم ريقه وشعر بأن قلبه ينبض بقوة غير معتادة. كان يعرف أن والده توفي في حادث أثناء عمله، لكن لم يكن يعلم أنه أنقذ حياة شخص ما قبل رحيله.

رفع يوسف نظره إليه وقال بجدية: "لهذا السبب لم أستطع تركك تموت في تلك الليلة. لقد كان دينًا قديمًا وكان لابد أن أوفيه."

ساد الصمت بينهما للحظات قبل أن يكسره حازم بصوت خافت: "إذن... أنت كنت تعرفني منذ البداية؟"
أومأ يوسف برأسه وقال: "أكثر مما تتخيل. والآن حان الوقت لكي تعرف أنت أيضًا الحقيقة كاملة."

لم يبقَ سوى صدى كلمات يوسف يتردد في أذنيه وكأنها وعدٌ بمصير لا مفر منه. بينما كانت ظلال الليل تتلاشى ببطء مع بزوغ فجر يومٍ جديد وجد حازم نفسه واقفًا على عتبة الحقيقة، يبحث عن إجابات لم تكن لتظل طي الكتمان طويلاً.

بدأ اليوم بصمتٍ غريب حيث كانت كل زاوية في المكان تحمل ذكرى من الماضي المجهول، وكل صوتٍ خافت كان يبدو وكأنه يهمس بسرٍ دفين. جلس حازم في غرفة صغيرة مع يوسف في تلك الغرفة التي ملأتها أوراق ووثائق قديمة محاولةً منه أن يفك رموز الكلمات التي تركها والده وراءه.

رفع يوسف بيده ورقةً أخرى، هذه المرة تحمل رسومات ورموزًا معقدة فقال:

— "هذه ليست مجرد ورقة، إنها مفتاح لسرٍ طالما كان كتمان سر يربط والدك بما يحدث الآن."

ارتجفت يد حازم وهو ينظر إلى الورقة وكأنها تحمل في طياتها عبئًا ثقيلًا من الذكريات والخيانة والمصير.

سأل حازم بصوتٍ منخفضٍ:

— "ما هو السر يا يوسف؟ ما الذي أخفى والدي؟"

تأمّل يوسف نظراته الحائرة ثم بدأ بسرد قصته بصوتٍ ممتلئٍ بالغموض:

— "منذ زمن بعيد قبل أن تفترق طرقنا كان والدك يعمل مع جماعةٍ سرية كانت تُعرف بلقب 'الشيخ'. لم يكن مجرد زميل عمل، لقد كان رجلًا يحمل معلومات لا تقدر بثمن عن شبكة فسادٍ ضخمة، شبكة امتدت عبر كل حدود البلاد. وفي يومٍ من الأيام أنقذني والدك من الغرق. تلك الحادثة لم تكن صدفة بل كانت بداية عهدٍ جديد. لقد أدركتُ حينها أن هناك قوىً تعمل خلف الكواليس تحاول إخفاء الحقيقة بأي ثمن."

جلس حازم صامتًا يحاول أن يستوعب حجم المأساة التي كانت مختبئة في تفاصيل حياة والده. كانت كل كلمة من يوسف تثقل قلبه وتجعله يشعر بأن الماضي الذي عرفه مجرد خدعة من الظلال.

ثم تابع يوسف وهو يُلمح في عينيه شيئًا من الأسى والحذر:

— "الشيخ لم يكن مجرد قائدٍ لجماعةٍ عادية، كان رمزًا للقوة التي لا يُمكن تحديها. واليوم يخطط أولئك الذين يتبعونه لإسكات كل من يعلم الحقيقة. وهذا ما حدث مع هاجر، لقد اختُطفت لأنها كانت قد عرفت أكثر مما ينبغي." وقف صمتٌ في الغرفة حتى بدا أن الزمن نفسه توقف ليستمع إلى الكلمات التي تلوح في الأفق. حمل حازم الورقة بين يديه وكأنها جسرٌ يصل بين الماضي والحاضر، وبين الحقيقة والسراب.

— "إذا كان كل هذا صحيحًا فأين يمكن أن نجد الإجابات؟" سأل حازم بحدة وكأن رغبته في معرفة الحقيقة تشعره بأن لا مكان للرجوع.ابتسم يوسف بحزن ثم قال:

— "الإجابة ليست هنا بل في مكانٍ نائي بعيد عن الأنظار حيث تُخزن الوثائق والأسرار التي تركها والدك. يجب أن نذهب إلى ذلك المخبأ، لكن الطريق إليه محفوف بالمخاطر ولن نكون وحدنا. هناك من يسعى لإيقافنا قبل أن نصل."

شعر حازم بأن صوته يرتعش لكن عزيمته بدأت تتجدد رغم الألم والخوف.

– "لن أتراجع سأذهب معك وسنواجه كل من يقف في طريقنا حتى نعرف الحقيقة كاملة."

في تلك اللحظة تداخلت أحاسيسه، كان قلبه ينطق بالتحدي رغم أن ماضيه كان يثقل كاهله. كانت أمامه رحلة قد تغير مجرى حياته إلى الأبد.

وفي صمتٍ عميق بدأ الثلاثي يستعدون للرحيل والخطوات التي سيخطونها كانت كأنها تُعلن بداية مواجهة جديدة مع قوىٍ لا تعرف الرحمة. الحقيقة كانت تنتظرهم خلف كل زاوية وبقيت الأسئلة معلقة:

– ما هو ذلك المخبأ؟

– من يقف وراء اختطاف هاجر؟

– وهل سيبقون على قيد الحياة ليكشفوا كل الأسرار؟

ومع كل هذه التساؤلات، كانت رحلة البحث عن الحقيقة قد بدأت رحلة قد تحمل في طياتها نهايةً جديدة لبدايةٍ طال انتظارها.

وقف حازم أمام باب الغرفة للحظات يحاول

استيعاب كل ما سمعه. الحقيقة التي بدأت تنكشف

أمامه كانت أثقل مما تخيله، لكنها كانت كفيلة

بإشعال شيء داخله... شيء أشبه بالثورة.

التفت إلى يوسف وقال بحزم:

— "أين المخبأ؟"

تنهد يوسف وأجاب:

— "قرية مهجورة على أطراف الصحراء، تبعد عن هنا

بحوالي خمسين كيلومترًا. كان والدك يذهب إليها

بين الحين والآخر وكان يقول لي دائمًا: 'إذا اختفيت

يومًا ابحث عن الحقيقة هناك'."

نظر حازم إلى الورقة مرة أخرى، شعر أنها أصبحت

عبئًا ثقيلًا عليه لكنه لم يكن مستعدًا لرميها بعد.

— "متى نتحرك؟"

أجاب يوسف بجدية:

— "الليلة لا يمكننا المخاطرة بالسفر في وضح النهار،

هناك من يراقبنا بالتأكيد."

بعد ساعات...

كان الليل قد أسدل.

انحسر ضوء القمر خلف الغيوم وظل سكون الليل يلف المكان كما لو أن العالم بأسره كان ينتظر لحظة الانطلاق. جلس حازم مع يوسف على مقاعد خشبية متآكلة بجانب دراجة نارية قديمة وسط ساحة مهجورة تشهد صمتًا مثيرًا.

قال يوسف بصوت منخفض:

— "كل شيء يعتمد على حذرنا الآن. الطريق إلى القرية المهجورة ليس سهلاً وهناك من يراقبنا في الظلال."

ارتفع نبض حازم مع كل كلمة لكنه لم يستطع إلا أن يشعر باندفاع داخل قلبه. كان يعلم أن هذه الرحلة قد تكون نقطة التحول التي طالما انتظرها، رحلة تكشف له عن أسرار لم يكن ليتخيلها.

بدأ الثلاثي مع قليل من الأثاث والأوراق التي جمعها يوسف من المخبأ القديم في الغرفة، التحرك بخطى ثابتة في طرقات الضباب والظلام. كانت الرياح تعصف خفيفة وكأنها تحمل همسات الماضي.

مع كل كيلومتر يقطعونه بدأ الحذر يزداد، ظلال تتحرك في الزوايا، أصوات خافتة تتردد في الخلف.

حازم لم يستطع أن يزيل تلك النظرات المراقبة من ذهنه، وكان يتساءل: هل هذه مجرد أوهام أم أن هناك من يحاول منعهم من الوصول إلى الحقيقة؟

في تلك اللحظة انطلقت الدراجة الميكانيكية في الطريق الوعر، تسير ببطء على الأرض الرملية المكسوة بالحجارة. يوسف نظر خلفه فتأكد بأن الطرقات خالية ثم همس:

— "ابقوا معاً ولا تفرقوا هذه الليلة ليست للبطء."

واصل الثلاثي رحلتهم عبر ممرات الصحراء المهجورة حتى وصلت الدراجة إلى حافة قرية مهجورة تبدو كأنها مدينة أشباح من زمنٍ بعيد. الأبواب الخشبية المهترئة والنوافذ المحطمة كانت شاهدًا على أيامٍ مرت بها تلك القرية، لكن يوسف كان واثقًا:

— "هذا هو المخبأ. هنا تخبئ الوثائق والأسرار التي تركها والدك."

ببطء نزلوا من الدراجة والهواء البارد يلفهم كعباءة ثقيلة. دخلوا إلى أحد المباني القديمة التي ما زالت تقف شامخة رغم الزمن.

كان الهدوء يخيّم، لكن كل شيء هنا كان يحمل بصمةً من التاريخ والأسرار.

وفي زاوية مظلمة من المبنى وجدوا صندوقًا معدنيًا مغطى بالغبار. نظر حازم إلى يوسف:

– "هل هذا هو المفتاح؟"

ابتسم يوسف بنظرة تحمل الكثير من المعاني المبطنة:

– "إنه جزءٌ من اللغز. والآن حان وقت كشف ما بداخله."فتح يوسف الصندوق ببطء لتتوالى الأوراق القديمة والوثائق التي تنطق بأسرارٍ خفية. وبينها ورقة كبيرة تحمل توقيع والد حازم ورسالة مكتوبة بخط يدٍ أصيل تقول:

"إذا كنت تقرأ هذه الرسالة فإنك قد وصلت إلى مفترق طرق. الحقيقة التي تبحث عنها ليست مجرد كلمة تُقال بل هي جرحٌ قديم يجب شفاؤه. احذر من أولئك الذين يسعون لإسكات الماضي لأنهم لا يعرفون أن الحقيقة لا تموت."ارتجفت أنفاس حازم وهو يقرأ، شعورٌ عميقٌ بالاندهاش والرهبة اجتاحه.

كان ذلك بداية لفصل جديد في حياته، فصل يكشف له أن كل شيء كان يُبنى منذ زمن بعيد، وأن الآن عليه أن يتخذ قرارات قد تغير مصيره إلى الأبد.

وقف يوسف جانب حازم ثم قال بصوتٍ مطمئن رغم وطأة الموقف:

— "هذه هي البداية. سنكشف كل شيء خطوة بخطوة. لكن عليك أن تعرف الطريق أمامك لن يكون سهلاً وقد يخسرك الكثير... لكننا سنقف معك."

تبادل الثلاثي النظرات وكان في عيون حازم مزيج من الخوف والإصرار.

وفي تلك اللحظة مع انبلاج أولى خيوط الفجر أدرك حازم أن كل شيء يتغير الآن، وأنه لا مجال للعودة إلى الوراء. الحقيقة كانت أمامه، والقرية المهجورة كانت مفتاحًا لمستقبل لم يكن يتخيله أبدًا.

رفع حازم بصره إلى يوسف، ثم نظر إلى هاجر التي جلست بصمت وكأنها تحاول استيعاب ما يحدث.

كان الليل قد بدأ يرخي سدوله والبرد يتسلل إلى العظام، لكن التوتر كان كافيًا لإبقاء الجميع متيقظين.

قال يوسف بصوت خافت وكأنه يخشى أن يسمعه أحد غيرهم: "علينا أن نصل إلى الفردية قبل أن يعثروا علينا."

حازم عقد حاجبيه: "الفردية؟"

أجابه يوسف: "قرية قديمة مهجورة منذ عقود. لا أحد يقترب منها بسبب القصص التي تحيط بها، ولهذا السبب ستكون أفضل مكان للاختباء الآن."

هاجر سألت بقلق: "لماذا تُسمى الفردية؟"

نظر يوسف إلى الظلام الممتد أمامهم وقال: "هناك روايتان. الأولى تقول إن اسمها جاء من كونها معزولة تمامًا، لا طرق تؤدي إليها بوضوح، ولا أحد يسكنها منذ سنوات طويلة. والثانية أن كل من عاش فيها اختفى واحدًا تلو الآخر حتى لم يبقَ منها سوى الأطلال."

شعر حازم بوخزة قلق في صدره وكأن الكلمات التي سمعها لم تكن مجرد خرافات.سادت لحظة صمت ثقيل قبل أن ينهض يوسف: "علينا التحرك الآن."

كانت السماء قد بدأت تأخذ لونًا رماديًا باهتًا حين وصل الثلاثة إلى أطراف الفردية. بدا المكان وكأنه تجمد فيه الزمن حيث كانت المنازل الطينية المتصدعة تقف كشواهد على ماضٍ منسي تحيط بها أشجار ميتة كأنها تحرس أسرارًا لا يجب أن تُكشف.

نظر حازم حوله فشعر ببرودة غريبة زحفت إلى روحه وكأن هذا المكان يلفظ كل من يقترب منه.

قال يوسف بصوت خافت: "هذه هي الفردية... القرية التي لا أحد يجرؤ على الاقتراب منها منذ عقود. يُقال إن سكانها اختفوا في ليلة واحدة بلا أثر ومنذ ذلك الحين لم يجرؤ أحد على السكن هنا مجددًا."

تحركوا ببطء عبر الشوارع المهجورة، كانت الرياح تعوي من بين الأزقة حاملةً معها أنينًا خافتًا، أو ربما كان مجرد خيالهم يلعب بهم. فجأة توقف يوسف وأشار إلى منزل في منتصف القرية: "هناك سنبيت الليلة."

نظر حازم إلى المكان، كان المنزل يبدو أفضل حالًا من بقية المنازل لكنه لا يزال يوحي بالكآبة. لم يكن لديهم خيار آخر لذا دخلوا.

(3-مارس-2025)

عند منتصف الليل استيقظ حازم على صوت خافت لم يكن متأكدًا إن كان حلمًا أم واقعًا. جلس في مكانه عينه تجوب الغرفة المظلمة. ثم سمعه مجددًا كان همسًا... شخص ما يهمس باسمه.

تجمدت أنفاسه في صدره وهو يحدق في الظلام.

"يوسف؟ هاجر؟" همس بصوت منخفض لكن لم يرد أحد. وفي تلك اللحظة اهتز باب الغرفة ببطء كأن شيئًا ما يحاول الدخول. حبس حازم أنفاسه وهو يراقب الباب يهتز ببطء. كان المكان هادئًا إلى درجة أن صوت دقات قلبه بدا كأنه يملأ الغرفة. هل هو وهم آخر؟ أم أن هناك شيئًا يتحرك بالفعل خلف الباب؟

مد يده بحذر نحو المصباح اليدوي الذي تركه بجواره، ضغط زر التشغيل لكن الضوء لم يعمل، بطاريته نفدت.

ابتلع ريقه بصعوبة وهو ينهض بهدوء ويضع قدمه بحذر على الأرض الخشبية كي لا تصدر أي صوت.

ثم... توقف الاهتزاز.

ظل يحدق في الباب متوقعًا أن يحدث شيء آخر لكن الصمت عاد يبتلع الغرفة من جديد. استدار نحو يوسف وهاجر كلاهما ما زال نائمًا. هل يتخيل الأمور؟ أم أن هناك من يراقبهم؟

قرر ألا يخاطر، اقترب ببطء من الباب، وضع أذنه عليه محاولًا التقاط أي صوت خلفه. للحظة لم يسمع شيئًا... لكن فجأة دوى صوت خافت كأن أحدهم يهمس مجددًا باسمه!

تراجع بسرعة، قلبه يخفق بعنف. هذه المرة لم يكن خياله.

كان هناك أحد بالخارج يهمس له. ولكن من؟ ولماذا؟

نظر إلى يوسف، ثم إلى هاجر، قرر أنه لا يستطيع البقاء هكذا.

التقط سلاحًا بسيطًا—قطعة حديد وجدها في الزاوية—ثم أمسك بمقبض الباب ببطء، لكنه لم يحتج لاتخاذ القرار بنفسه؛ لأن الباب انفتح فجأة من تلقاء نفسه ليكشف عن ممر مظلم، وخطوات تبتعد بسرعة، فقد كان هناك شخص يتحرك في الظلام، ملامحه غير واضحة، لكنه كان ينظر إليه مباشرة.

ما رآه جعله يتراجع خطوة للخلف، وقبل أن يستطيع حازم قول شيء همس الشخص بصوت بارد:

"لا يجب أن تكون هنا."

ثم اختفى في الظلام.

وعندما اقترب أكثر رأى بابًا خشبيًا قديمًا عليه نفس الرمز الذي كان على الورقة التي حصل عليها.

مد يده ولمس الباب بحذر فاهتز تحت يده وانفتح ببطء ليكشف عن شيء لم يتوقعه أبدًا.

بينما ظل الباب الخشبي القديم مفتوحًا ارتدَّت خطوات حازم وقعها بثبات على أرض الممر المظلم. كان الباب لا يزال يتلألأ بخفة تحت ضوء القمر الخافت، والرمز الذي نقش عليه يذكِّرهم بالأسرار القديمة التي لطالما ظلّت طي الكتمان.

لم يمض وقت طويل قبل أن يشعر حازم أن ما يحدث ليس مجرد حلم، بل هو حقيقة تستدعي الانتباه. فاستجمع شجاعته، وعاد مسرعًا إلى غرفة النوم حيث كان يوسف وهاجر نائمين بعمق.

أيقظهما بهمسٍ حازم:

— "يلا قوموا، لقد حان وقتنا لنكتشف هذا الباب."

استفاق يوسف وهاجر على وقع صوت إلحاح حازم، وخرجوا من الغرفة بعيونٍ مليئة بالفضول والترقب. تجمع الثلاثي في الممر المظلم الذي رافقهم طوال الرحلة، حيث خطت خطواتهم الحذرة نحو الباب الذي بدا وكأنه مفتاح لمستقبل جديد.

وقفوا أمام الباب القديم وتفحصوا تفاصيله المبهرة، تلك النقوش الغامضة التي حملت معها وعودًا بمغامرة غير متوقعة. همس يوسف وهو يلمس أحد الرموز:

— "كل شيء هنا يوحي بأن هذا الباب كان ينتظرنا."

ابتسمت هاجر بابتسامة خافتة، ثم نظرت إلى حازم وقالت بثقة: — "يبدو أن هذه هي رحلتنا القادمة."

تبادل الثلاثي نظرات مليئة بالأمل والتحدي. شعر حازم بأن كل خطوة تقربهم من كشف الأسرار التي طالما أخفتها الظلال، وأن هذه اللحظة هي نقطة التحول التي ستغير مجرى حياتهم إلى الأبد.

بثبات مدّ حازم يده ولمس مقبض الباب، وبدون تردد فتحه ببطء فانبثق منه ضوء خافت أضاء الممر من أمامهم. ومع انبثاق ذلك النور تلاشت ظلال الماضي مؤقتًا، ليكشف لهم عن درب جديد مفعم بالغموض والمفاجآت.

وفي تلك اللحظة أعلن الثلاثي بصوتٍ واحدٍ مفعمًا بالعزم: — "هذه هي رحلتنا القادمة."

رسالة ختامية:

وبينما نغلق صفحات هذا الجزء نرفع أكفنا بالدعاء أن يرشدنا الله في رحلتنا القادمة، وأن يجعل كل تحدٍ خطوة نحو النور. إننا نستعد لنبدأ الجزء الثاني من رواية "صدى الغائب"بإذن الله تعالى،حيث تكتمل الحقائق وتتشابك الأحداث في مغامرة جديدة تحمل في طياتها المزيد من الأسرار والتشويق.

فلتبقى قلوبنا مطمئنة بذكر الله، ولتتوهج آمالنا بنور اليقين، فإن الله هو الموجه والمعين في كل دربٍ نخطوه.

وفي الختام لا تنسوا الدعاء لجدي بالرحمة والمغفرة، ولا تنسوا الدعاء لإخواننا المسلمين في فلسطين وفي كل مكان بالنصر والتمكين على أعدائهم وأعداء الإسلام.

"سبحانك اللهم وبحمدك نشهد ألا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

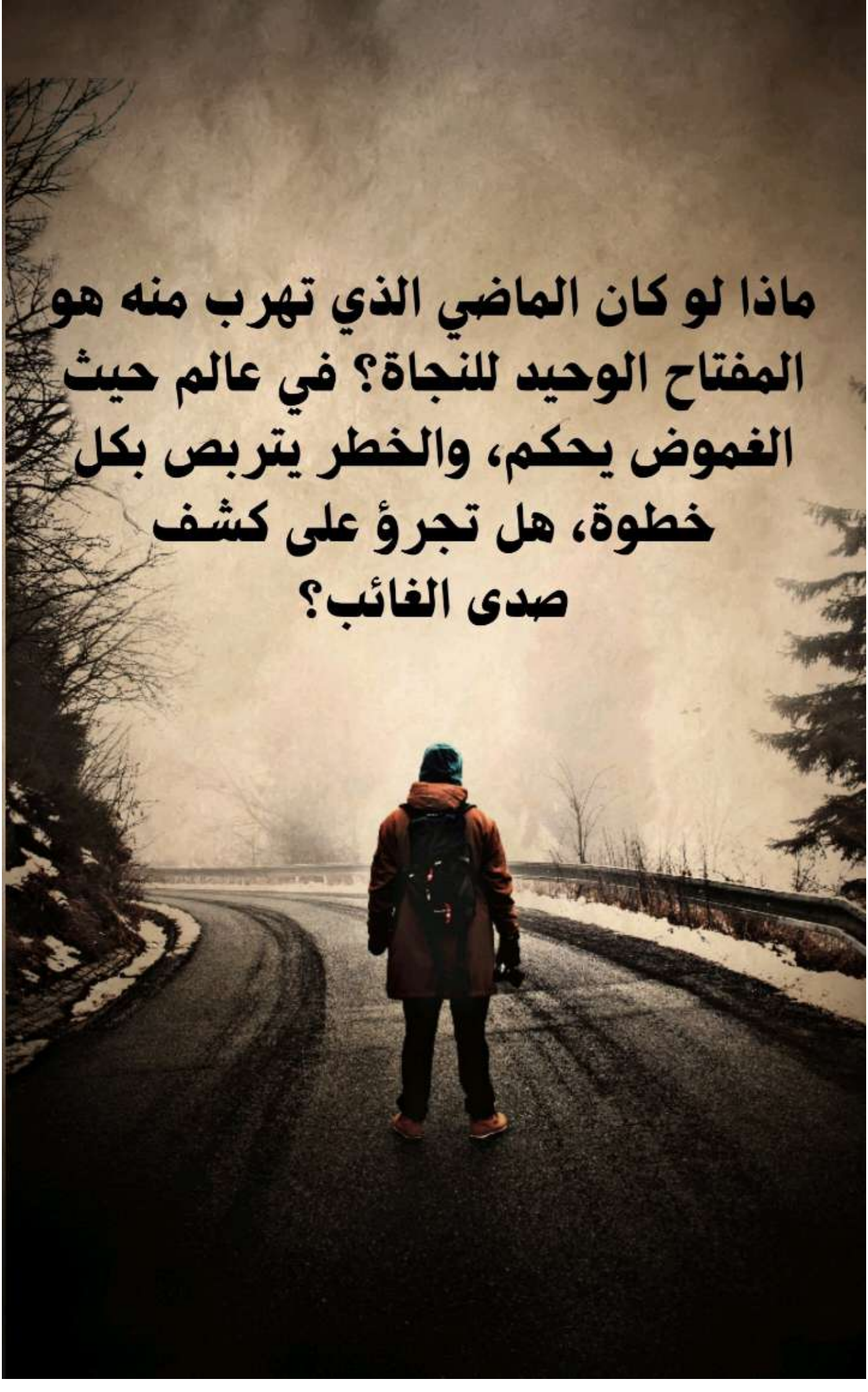
ماذا لو كان الماضي الذي تهرب منه هو
المفتاح الوحيد للنجاة؟ في عالم حيث
الغموض يحكم، والخطر يتربص بكل
خطوة، هل تجرؤ على كشف
صدى الغائب؟